كيف تفتح أبواب السماء؟

د. محمد بن إبراهيم النعيم رحمه الله



مدار الوطن للنشر



حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م



المملكة العربية السعودية - الرياض

ص.ب ٢٤٥٧٦٠ الرمز البريدي ١١٣١٢

المقر الرئيسي - الروضة - ت: ١١٢٣١٣٠١٨

ت: ١١٤٧٩٢٠٤٢ (٣ خطوط) - ف: ١١٢٣٢٢٠٩٦

فرع السويدي - ت: ١١٤٢٦٧١٧٧ - ف: ١١٤٢٦٧٣٧٧

K.S.A / Riyadh 11312 P.O.Box: 245760

Rawdah / Tel.:112313018 Fax:112322096

Swaidi / Tel.:114267177 Fax:114267377

الموقع الإلكتروني | www.madaralwatan.com

البريد الإلكتروني | pop@madaralwatan.com
madaralwatan@hotmail.com

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد،

فهذا كتاب مختصر جمعت فيه بعض الفوائد التي استنبطتها من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما الذي قال فيه: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنِ الْقَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟» قَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «عَجِبْتُ لَهَا؛ فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ»، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ[1].

وفي رواية عند النسائي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَامَ رَجُلٌ خَلْفَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا، فَقَالَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ صَاحِبُ الْكَلِمَةِ؟» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَقَالَ: «لَقَدْ ابْتَدَرَهَا اثْنَا عَشَرَ مَلَكًا»[2].

فهذا الحديث أحد أدعية الاستفتاح التي تُقال في الصلاة، وقد دوَّنه المحدثون رحمهم الله تعالى في كتبهم تحت باب: ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة، ويتضمن العديد من الفوائد والتي منها:

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٣/١٧٩)، ومسلم واللفظ له (٦٠١)، والترمذي (٣٥٩٢)، والنسائي (٨٨٦).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٥/٢٧٠)، والنسائي (٨٨٥)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٨٦٦).

(١) أن بعض الطاعات قد يكتبها غير الحفظة أيضا، مما يؤكد على أهمية هذا الدعاء وفضله؛ لأنه لم يكتف الحفظة بكتابته، بل كتبه معهم ملائكة آخرون.

(٢) أن أبواب السماء تفتح بعد الأذان؛ لما رواه أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إذا نودي بالصلاة، فتحت أبواب السماء، واستجيب الدعاء»[1]، ومع ذلك فقد فتحت أبواب أخرى لهذا الدعاء مما يشير إلى زيادة فضله.

(٣) حرص عبد الله بن عمر ﷺ على العمل بهذا الحديث وبأوامر النبي ﷺ عموما حيث قال في آخر حديثه: فما تركتهن منذ سمعت رسول الله ﷺ يقول ذلك.

والعمل بالحديث من أفضل الوسائل لحفظه ونشره؛ ولذلك تجد عبد الله بن عمر ﷺ هو الراوي لهذا الحديث، وحدثه للناس.

وهذا لا يستغرب من صحابة رسول الله ﷺ الذين يحبون النبي ﷺ حبا صادقا باتباعه ونشر هديه قولا وعملا.

وقد تكرر مثل ذلك مع أم المؤمنين أم حبيبة ﷺ حينما سمعت ثواب من صلى اثنتي عشرة ركعة من غير الفريضة، وأكدت التزامها بتلك الفضيلة وأعلنتها ترغيبا للناس للاقتداء بها، وقد اقتدى بها ثلاثة ممن رووا حديثها ﷺ ، فهل نشارك القوم هذا الفضل؟

فعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ سَالِمٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عَنْبَسَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِحَدِيثٍ يَتَسَارُّ إِلَيْهِ قَالَ: سَمِعْتُ أُمَّ حَبِيبَةَ تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ صَلَّى اثْنَتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً فِي يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، بُنِيَ لَهُ بِهِنَّ بَيْتٌ فِي الْجَنَّةِ»،

(١) رواه الطيالسي والضياء المقدسي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨١٨).

قَالَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَقَالَ عَنْبَسَةُ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ أُمِّ حَبِيبَةَ، وَقَالَ عَمْرُو بْنُ أَوْسٍ: مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَنْبَسَةَ، وَقَالَ النُّعْمَانُ بْنُ سَالِمٍ: مَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ[(١)].

(٤) سرعة مبادرة النبي ﷺ للثناء على قائل هذا الدعاء وأمام الملأ؛ لأن مسجده ﷺ مركز لتلقي العلم، فلو لم يبين النبي ﷺ في الحال فقد يكون من الحاضرين من سيسافر إلى ديار بعيدة ولن يرى النبي ﷺ مرة أخرى لينقل للناس ما رآه وسمعه من النبي ﷺ حول هذا الدعاء وفضله.

فبعض الناس لا يحب الثناء على غيره، وإنما يحب اللوم والقدح ونشر المعايب، فإذا رأى في الناس خطأ أقام الدنيا ولم يقعدها، وإذا رأى شيئا حسنا أو خلقا مجيدا أغفله ولم يثن عليه ليُقتدى بفاعله، فأصبح مثله كمثل الذبابة التي تقع على القاذورات، وكان ينبغي أن يكون مثله كمثل النحلة التي تقع على الطيبات، ولا تعطي إلا طيبا.

(٥) هذا الصحابي اجتهد من تلقاء نفسه وقال هذا الدعاء وجهر به، وقد مدح النبي ﷺ صنيعه وأثنى على دعائه، فهل يشرع لنا أن نخترع أدعية من تلقاء أنفسنا فنقولها بدلا من تلك المشروعة في الصلاة مثلا؟ كلا؛ لأن الله تعالى أنطق ذلك الرجل بحضرة النبي ﷺ ليشرع لنا - والعلم عند الله- وديننا قد كَمُلَ قبل وفاة النبي ﷺ لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقد قال النبي ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»[(٢)]، والنبي ﷺ ليس بموجود عندنا لكي يؤيدنا أو يقومنا، ولو فتح هذا الباب لما استقامت لنا صلاة على منهج النبوة.

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٤/١٨٩)، ومسلم واللفظ له (٧٢٨)، والنسائي (١٨١٢)، وابن ماجه (١١٤١).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٥/٢٢٦)، والبخاري واللفظ له (٦٠٠٨)، وابن حبان (١٦٥٨)، والدارمي (١٢٥٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (٣٦٧٢).

ويرى بعض أهل العلم كابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى[١] جواز إحداث ذكر في الصلاة غير مأثور إذا كان غير مخالف للمأثور، ولعل القصد هو جواز إحداث ذكر مستقل، وليس الزيادة على المأثور أو استبدال المأثور به[٢].

(٦) هذا الدعاء أحد الوسائل التي يمكنك به فتح أبواب السماء.

وهل للسماء أبواب؟

وهل تعلم متى تفتح أبواب السماء؟

وماذا يعني أن تفتح أبواب السماء؟

ولمن تفتح أبواب السماء؟

وما مفاتيح أبواب السماء؟

وماذا ينبغي أن نفعل إذا فتحت أبواب السماء؟

وعلى من تغلق أبواب السماء؟

أسئلة من المهم أن تعرف جوابها، ولعله يكون في هذا الكتاب المختصر الذي سميته (كيفَ تفتحُ أبوابَ السماء؟) وسيربطنا بمواعيد وأحداث لا تحصل على وجه الأرض، وإنما في عالم السماء، ويهملها ويجهل قدرها كثير من المسلمين، فحري بنا معرفتها والاستعداد لها واستغلالها، لأنها لم تذكر لنا عبثًا.

يتألف الكتاب من مقدمة وخمسة فصول.

---

(١) انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (٢/ ٣٣٥ ح ٧٩٩).

(٢) راجع الفائدة الرابعة في المبحث الأول من الفصل الثالث.

اعتمدت في بحثي على الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي صححها أو حسنها علماء الحديث وشراح كتب السنة رحمهم الله تعالى، وذكرت الأحاديث من مصادرها الحديثية، وبينت درجة ما كان منها في غير الصحيحين، وما وضعته في الأحاديث بين شرطتين فهو من كلامي تفسيرًا أو نحوه.

أسأل الله تعالى أن يوفقنا لصالح القول والعمل، ويجنبنا الزلل، وأن يفتح لنا أبواب رحمته، ويغلق عنا أبواب سخطه، وأن يجعل ما كتبته خالصا لوجه الكريم، وأن ينفعني به بعد مماتي، وينفع به كل من انتهى إليه، فإنه تعالى خير مسئول، وأكرم مأمول، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله وخيرته من خلقه، نبينا محمد وعلى آل بيته الطاهرين وأصحابه الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وكتبه: ابو عمر

الأحساء ص. ب. ١١٥٣

١٤٣٠/٣/١هـ

malnoaim@kfu.edu.sa

❊ ❊ ❊

الفصل الأول

أبواب السماء

هل السماء فراغ؟

إن السماء سقف صلب لا يمكن للملائكة النزول منها إلا عن طريق أبواب، فالسماء ليست فراغا، بل بنيان محكم يتعذر دخوله أو الخروج منه إلا عن طريق أبواب السماء، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴾ [الأنبياء: ٣٢]، وهذا السقف سيطوى يوما ما، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

ومعلوم أن السموات سبع طباق، لقوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴾ [نوح: ١٥]، وبين كل سماء وأخرى مسيرة خمس مئة عام، لما رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفا أنه قال: **«بين السماء الدنيا والتي تليها خمس مئة عام، وبين كل سماء خمس مئة عام، وبين السماء السابعة والكرسي خمس مئة عام، وبين الكرسي والماء خمس مئة عام، والعرش فوق الماء، والله فوق العرش، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم»**[1].

وذكر النبي ﷺ أن السموات السبع عامرة بالملائكة حيث روى أبو ذر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ -أي**

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/١٣١)، وابن مهدي والمسعودي، وقال الحافظ الذهبي: وله طرق، وحسن إسناده د. عبد العزيز الشهوان في تحقيقه لكتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة (ج١/ حديث ١٤٩) و(ج٢/ حديث ٥٩٤).

صوتت وضجت- وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ وَاللَّهِ، لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَى اللَّهِ»(١).

وفي رواية لأنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أطت السماء ويحق لها أن تئط، والذي نفس محمد بيده، ما فيها موضع شبر إلا وفيه جبهة ملك ساجد يسبح الله بحمده»(٢).

هل لكل سماء أبواب؟

لكل سماء أبواب حقيقية ليست مجازية، ويحتمل أنها غير شفافة لما رواه أنسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِالبُرَاقِ وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ فَوْقَ الحِمَارِ وَدُونَ البَغْلِ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، قَالَ: فَرَكِبْتُهُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ، قَالَ: فَرَبَطْتُهُ بِالحَلْقَةِ الَّتِي يَرْبِطُ بِهِ الأَنْبِيَاءُ، قَالَ: ثُمَّ دَخَلْتُ المَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عليه السلام بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ ﷺ: اخْتَرْتَ الفِطْرَةَ ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا، فَإِذَا أَنَا بِآدَمَ، فَرَحَّبَ بِي وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ،

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١/٤١)، والترمذي واللفظ له (٢٣١٢)، وابن ماجه (٤١٩٠)، والحاكم (٨٦٣٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٣١١٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٤٩).

(٢) رواه ابن مردويه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٢٠).

فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ﷺ فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِابْنَيِ الْخَالَةِ عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ وَيَحْيَى بْنِ زَكَرِيَّاءَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فَرَحَّبَا وَدَعَوَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ ﷺ إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ﷺ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قَالَ وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِدْرِيسَ، فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، قَالَ اللهُ ﷻ ﴿وَرَفَعْنَٰهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِهَارُونَ ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ ﷺ قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ، فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِمُوسَى ﷺ فَرَحَّبَ وَدَعَا لِي بِخَيْرٍ، ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ جِبْرِيلُ، فَقِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ ﷺ قِيلَ: وَقَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: قَدْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَفُتِحَ لَنَا فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ ﷺ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ لا يَعُودُونَ إِلَيْهِ، ثُمَّ ذَهَبَ بِي إِلَى السِّدْرَةِ الْمُنْتَهَى... »[١]

قال الطيبي رحمه الله تعالى نقلا عن القاضي عياض: وفي هذا أن للسماء أبوابًا حقيقية وحفظة موكلين بها. اهـ [٢]

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢٠/٢٥٤)، والبخاري (٣٨٨٧)، ومسلم واللفظ له (١٦٢)، والنسائي (٤٤٨).

(٢) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح - المسمى الكاشف عن حقائق السنن- (١١/٨٢).

وسؤال الملك لجبريل: (قد بُعِثَ إليه؟) ليس سؤالًا عن بعثته، بل عن الإسراء به.

قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ تعالى: وليس مراده الاستفهام عن أصل البعثة والرسالة، فإن ذلك لا يخفى عليه إلى هذه المدة هذا هو الصحيح. وقيل: معناه أوحي إليه وبعث نبيًا، والأول أظهر؛ لأن أمر نبوته كان مشهورًا في الملكوت لا يكاد يخفى على خزان السموات وحراسها. اهـ[1].

وروى حُذَيْفَةُ بْنُ اليمانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أُتِيتُ بِالبُرَاقِ، وَهُوَ دَابَّةٌ أَبْيَضُ طَوِيلٌ، يَضَعُ حَافِرَهُ عِنْدَ مُنْتَهَى طَرْفِهِ، فَلَمْ نُزَايِلْ - أي نترك - ظَهْرَهُ أَنَا وَجِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ المَقْدِسِ، فَفُتِحَتْ لَنَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَرَأَيْتُ الجَنَّةَ وَالنَّارَ»[2].

عدد أبواب السماء

إن أبواب السماء كثيرة جدا لا يعلم عددها إلا الله ﷻ، وستفتح جميعها يوم القيامة والعلم عند الله تعالى، قال تعالى: ﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴾ [النبا: ١٨-١٩].

وأبواب السماء قد يفتح بعضها أو يغلق في أي لحظة؛ لنزول ملك أو صعوده، فعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ قَاعِدٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوْقِهِ فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ اليَوْمَ، لَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلاَّ اليَوْمَ، فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَقَالَ: هَذَا مَلَكٌ نَزَلَ إِلَى الأَرْضِ لَمْ يَنْزِلْ قَطُّ إِلاَّ اليَوْمَ، فَسَلَّمَ وَقَالَ: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ

---

(١) المصدر السابق (١١/٨٢).

(٢) رواه الإمام أحمد واللفظ له -الفتح الرباني- (٢٠/٢٥٤)، والحاكم (٨٧٩٣)، وأبو يعلى (٣٣٧٥)، وابن أبي شيبة (٣٦٥٧٧)، وابن حبان، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٨).

أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ؛ فَاتِحَةُ الكِتَابِ وَخَوَاتِيمُ سُورَةِ البَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهُمَا إِلاَّ أُعْطِيتَهُ»(١).

وجاء عن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قال: جَلَسَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فنظَرَ إِلَى السَّمَاءِ، فَإِذَا مَلَكٌ يَنْزِلُ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ هَذَا المَلَكَ مَا نَزَلَ مُنْذُ يَوْمِ خُلِقَ قَبْلَ السَّاعَةِ، فَلَمَّا نَزَلَ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ رَبُّكَ، قَالَ: أَفَمَلِكًا نَبِيًّا يَجْعَلُكَ أَوْ عَبْدًا رَسُولًا؟ قَالَ جِبْرِيلُ: تَوَاضَعْ لِرَبِّكَ يَا مُحَمَّدُ قَالَ: «بَلْ عَبْدًا رَسُولًا»(٢).

ضخامة أبواب السماء

وأبواب السماء ضخمة جدا لا يحيط بها العقل البشري، جاء في وصف واحد منها أن عرضه مسيرة سبعين عاما، فعن صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ ﷺ عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ قِبَلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ بَابًا مَفْتُوحًا عَرْضُهُ سَبْعُونَ سَنَةً....الحديث»(٣).

⇦ وتمتاز أبواب السماء بأنها أو بعضها تُفتح في أوقات محددة ثم تغلق، كما أنها أو بعضها تُفتح لأرواح وأعمال صالحة، وتُغلق في وجه أعمال وأرواح معينة، في حين أن هناك بابًا واحد ترك مفتوحًا لم يغلق قط ولن يغلق حتى تطلع الشمس من مغربها.

كل ما تقدم هو الموجز، وأما تفصيل ذلك ففي أربعة فصول تالية.

---

(١) رواه الإمام مسلم واللفظ له (٨٠٦)، والنسائي (٩١٢)، وابن حبان (٧٧٨)، والحاكم (٢٠٥٢)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٠١٤)، والطبراني في الكبير (١٢٢٥٥).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢١/٢٢)، وابن حبان (٦٣٦٥)، وأبو يعلى (٦١٠٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٢٨٠).

(٣) رواه الترمذي (٣٥٣٥)، وابن ماجه واللفظ له (٤٠٧٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٢٢٩).

الفصل الثاني

أوقات تفتح فيها أبواب السماء

تمهيد

لقد خص الله تعالى بعض الأوقات بمزيد فضل، كأيام رمضان وعشر ذي الحجة والجمعة، وعظَّم أجور العاملين فيها.

وهناك أوقات فاضلة أخرى، لا ينتبه لها كثير من الناس، شرفها اللهﷻ بفتح أبواب السماء عندها، فينبغي احترامها واستغلالها؛ بالإكثار من الطاعات خصوصًا الدعاء، لأنها أوقات إجابة.

إن فتح أبواب السماء علامة على تنزل الرحمة، وعلى شرف الوقت الذي فتحت فيه، وعلى تأكد قبول العمل الذي عُمل أو الذي فُتحت له بإذن الله تعالى.

وإذا قلنا بأن أبواب السماء قد فتحت، فلا يشترط أن تكون كلها؛ وإنما قد يكون بعضها؛ لأن أبواب كل سماء كثيرة جدًّا، ولا يعلم عددها إلا الله تعالى.

وقد يقول قائل: إن فتح أبواب السماء في وقت كمثل نصف الليل حتى الفجر؛ يصدق في بلد معين، ولكن ماذا عن البلد المجاور الذي سيبدأ فيه منتصف الليل لاحقا، ثم البلد الذي يليه، وهكذا، مما يقتضي دوام فتح أبواب السماء؟

أقول: إن فتح أبواب السماء من الأمور الغيبية والتي قد تعني أن الله تعالى يفتح لذلك البلد أبوابًا في السماء إذا انتصف الليل في ذلك البلد، فإذا طلع الفجر أغلقت تلك الأبواب وفتحت أبواب أخرى لبلد آخر بدأ فيه منتصف الليل وهكذا، وقد

يُحمل فتح الأبواب على معانٍ أخرى لا ندركها ولا نتصورها؛ لأن النبي ﷺ كان يخاطب الصحابة رضي الله عنهم بما يفهمونه ويشاهدونه.

وقد أحسن الإمام الخطابي رحمه الله تعالى الجواب عن ذلك فقال رحمه الله تعالى: وذكر تسجير جهنم وكون الشمس بين قرني الشيطان وما أشبه ذلك من الأشياء التي تذكر على سبيل التعليل لتحريم شيء أو لنهي عن شيء؛ أمور لا تدرك معانيها من طريق الحس والعيان، وإنما يجب الإيمان بها والتصديق للخبر بها والانتباه إلى أحكامها. اهـ[(١)].

وهناك أوقات عديدة فاضلة تفتح فيها أبواب السماء؛ حثَّ الشارع الحكيم على استغلالها بالدعاء والعمل الصالح؛ لأنها مظنة الإجابة، وأهم تلك الأوقات:

(١) بعد كل أذان

إذا أذَّن المؤذن في بلد ما، فتح الله لهذا البلد أبوابا في السماء لقبول دعائهم، ولا يعني أن الله تعالى لا يقبل الدعاء إلا في ذلك الوقت؛ وإنما يكون الدعاء مرجو الإجابة ولا يُردُّ بإذن الله تعالى لبركة ذلك الوقت عند الله تعالى، لذلك فمن نزل به كرب أو شدة فليتحين نداء المنادي.

فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا نادى المنادي، فتحت أبواب السماء، واستجيب الدعاء»[(٢)].

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا نُودي بالصلاة، فتحت أبواب السماء، واستجيب الدعاء»[(٣)].

---

(١) المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود للسبكي (٧/ ١٧٤).

(٢) رواه الحاكم (٢٠٠٤)، وأبو يعلى، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨٠٣).

(٣) سبق تخريجه (ص٤).

وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ثنتان ما تردان: الدعاء عند النداء، وتحت المطر»[١]، وفي رواية له رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ثِنْتَانِ لا تُرَدَّانِ، أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ؛ الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ، وَعِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا»[٢].

فلعل هذا فيه ترغيب باستغلال هذا الوقت المبارك، والتبكير إلى الصلاة وإلى الصف الأول؛ ولذلك نلمس الحكمة في جمع النبي ﷺ بين هاتين الفضيلتين في حديث واحد، حيث روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلاَّ أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا»[٣].

كما أن فيه ترغيب للإكثار من الدعاء؛ خصوصا عند السجود خلال هذه الفترة المباركة؛ فهي أحرى بالإجابة من الدعاء أثناء السجود في النافلة التي بعد الفريضة.

فبعض الناس يعتبر الوقت بين الأذان والإقامة: وقتا ضائعا؛ فيستغله في أداء بعض المهام السريعة كتوصيل زوجته أو أولاده، كما أن بعض عمال الصيانة تكثر مواعيدهم ومجيئهم إلى البيوت بعد الأذان لتسليم أو استلام غسالة أو ثلاجة وما شاكَلَ ذلك، والبعض قد يرضى لنفسه أن يُفوِّت عليه أولئك العمال هذا الوقت الفاضل الذي فتح الله فيه أبواب السماء ليرفعوا لأنفسهم عملا صالحا.

---

(١) رواه الحاكم (٢٥٣٤)، والبيهقي (٦٢٥١)، والطبراني (٥٧٥٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٧٨).

(٢) رواه أبو داود واللفظ له (٢٥٤٠)، والحاكم (٧١٢)، والدارمي (١٢٠٠)، والبيهقي (٦٢٥١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٧٩).

(٣) رواه الإمام مالك في الموطأ (١٥١)، وأحمد -الفتح الرباني- (٣١٨/٥)، والبخاري (٦١٥)، ومسلم (٤٣٧)، والترمذي (٢٢٥)، والنسائي (٥٤٠)، وابن حبان (٢١٥٣)، وابن خزيمة (٣٩١).

كما أن البعض الآخر قد يضيع عليه هذا الوقت المبارك وهو في دورة المياه، فالأولى من كان حاله الإطالة في دورة المياه؛ الاستعداد قبل الأذان حتى يستغل هذا الوقت المبارك -وقت فتح أبواب السماء- في الدعاء والصلاة وقراءة القرآن.

ولا يلزم أن يكون الدعاء في هذا الوقت داخل المسجد لعدم اشتراط النبي ﷺ ذلك، لذلك ينبغي للنساء وهن في بيوتهن استغلال هذا الوقت الفاضل بالدعاء حتى لو نزل بهن العذر الشرعي، وأن لا يكن البتة أمام الأفلام والمسلسلات غافلات لاهيات.

وينقسم وقت إجابة الدعاء بعد الأذان إلى وقتين: مقيد وموسع، أما المقيد فهو الدعاء الذي يقال بعد ترديد الأذان مباشرة فهو مستجاب، لتأكيد النبي ﷺ على ذلك، لما رواه عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ الْمُؤَذِّنِينَ يَفْضُلُونَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قُلْ كَمَا يَقُولُونَ، فَإِذَا انْتَهَيْتَ فَسَلْ تُعْطَهْ»(١).

أما الوقت الموسع فهو الدعاء الذي يقال بين الأذان والإقامة، لما رواه أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الدعاءُ مستجابٌ بين النداءِ والإقامة»(٢)، وفي رواية له أيضا أن النبي ﷺ قال: «الدعاء بين الأذان والإقامة مستجاب فادعوا»(٣)، وفي رواية أخرى أن النبي ﷺ قال: «لا يُرَدُّ الدُّعَاءُ بَيْنَ الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ»(٤)؛ لذلك فمن نزل به

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٣/ ٢٠)، وأبو داود واللفظ له (٥٢٤)، وابن حبان (١٦٩٥)، والنسائي في السنن الكبرى (٩٨٧٢)، والبيهقي (١٧٩٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٠٣).

(٢) رواه الحاكم (٧١٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٦).

(٣) رواه ابن حبان (١٦٩٦)، وأبو يعلى واللفظ له (٣٦٨٠)، وابن خزيمة (٤٢٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٥).

(٤) رواه أبو داود واللفظ له (٥٢١)، وأبو يعلى (٤١٠٩)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٤٨٩).

كرب أو شدة، فليتحين وقت الأذان، وليرفع لنفسه دعوات صادقة مستغلا فتح أبواب السماء، فإنها لم تُفتح عبثا.

(٢) بعد إقامة الصلاة

فعن جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلاةِ فُتِحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَاسْتُجِيبَ الدُّعَاءُ»[١].

وتثويب الصلاة هو إقامتها، ودليله ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ حَتَّى لا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا ثُوِّبَ بِالصَّلاةِ أَدْبَرَ حَتَّى إِذَا قَضَى التَّثْوِيبَ أَقْبَلَ حَتَّى يَخْطِرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا اذْكُرْ كَذَا، لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّى يَظَلَّ الرَّجُلُ لا يَدْرِي كَمْ صَلَّى»[٢].

وروى مكحول الشامي رحمه الله تعالى أن النبي ﷺ قال: «اُطْلُبُوا استجَابَةَ الدُّعَاءِ عِنْدَ الِتقَاءِ الْجُيُوشِ، وَإِقَامَةِ الصَّلاةِ، وَنُزُولِ الْغَيْثِ»[٣].

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا أقيمت الصلاة فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء»[٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٣/٣)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره (٢٦٠).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١١/٣)، والبخاري (٦٠٨)، ومسلم واللفظ له (٣٨٩)، والنسائي (٦٧٠)، وأبو داود (٥١٦).

(٣) رواه الشافعي في الأم بلفظ: اطلبوا إجابة الدعاء (٢٥٣/١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٠٢٦).

(٤) رواه النسائي في السنن الكبرى (٩٩٠٠)، وحسنه ابن حجر في الفتوحات الربانية (١٥٠/٢)، وفي نتائج الأفكار (٣٨٥/١).

وعن مجاهد عن يزيد بن شجرة، وكان يزيد بن شجرة ﷺ ممن يصدق قوله فعله خطبنا فقال: «إذا صف الناس للصلاة، وصفوا للقتال، فتحت أبواب السماء وأبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وزين الحور العين واطلعن، فإذا أقبل الرجل قلن: اللّهم انصره، وإذا أدبر احتجبن منه وقلن: اللّهم اغفر له...»[١].

فكل هذه الأحاديث تؤكد فضيلة الإقامة، والترغيب في عدم تركها، خصوصا ممن تفوته صلاة الجماعة ويصلي بمفرده، وأن الدعاء مستجاب عندها.

والدعاء المستجاب الذي بعد الإقامة يحتمل أنه الذي يقال بعد الإقامة مباشرة؛ أو الذي يقال داخل الصلاة؛ ويحتمل الاثنين.

⇦ **ويتفرع من هذا الأمر سؤال مهم: هل يشرع الدعاء بعد الإقامة؟**

هناك خلاف بين العلماء في جواز ذلك.

⇦ المانعون:

فالذين منعوا ذلك قالوا أنه لم ينقل عن النبي ﷺ أنه دعا بعد إقامة الصلاة بشيء، وإنما كان يشتغل بتسوية صفوف المأمومين.

وقد أجابت اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية على سؤال رقم (٢٨٠١) حول هذه المسألة فقالت: السُنة أن المستمع للإقامة يقول كما يقول المقيم؛ لأنها أذان ثانٍ فتجاب كما يجاب الأذان، ويقول المستمع عند قول المقيم (حي على الصلاة، حي على الفلاح) لا حول ولا قوة إلا بالله، ويقول عند قوله: (قد قامت الصلاة) مثل قوله، ولا يقول :أقامها الله وأدامها؛ لأن الحديث في ذلك ضعيف،

---

(١) رواه الحاكم (٦٠٨٧)، والطبراني (٦٤١)، والبزار، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٣٧٧).

وقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول» وهذا يعم الأذان والإقامة؛ لأن كلًّا منهما يسمى أذانا. ثم يصلي على النبي ﷺ بعد قول المقيم (لا إله إلا الله) ويقول: اللَّهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة... إلخ كما يقول بعد الأذان، ولا نعلم دليلًا يصح يدل على استحباب ذكر شيء من الأدعية بين انتهاء الإقامة وقبل تكبيرة الإحرام سوى ما ذكر. اهـ[١].

وقد سئل الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: هل ورد عن النبي ﷺ دعاء بعد الإقامة؟ فقال: الإقامة ليس بعدها دعاء، وإنما يشرع الإمام بالصلاة بعد انتهاء الإقامة وبعد أن يسوي الصفوف..... اهـ[٢].

وسئل الشيخ صالح الفوزان: هل يشرع ذكر بعد الإقامة؟ فقال: أما الدعاء بعدها -أي بعد الإقامة- فلم يثبت عن النبي ﷺ. اهـ[٣].

⇦ **المجيزون:**

أما الذين أجازوا الدعاء بعد الإقامة فمنهم الإمام النووي رحمه الله تعالى حيث بوَّب في كتابه الأذكار: باب الدعاء عند الإقامة ونقل عن الشافعي رحمه الله تعالى قوله: وقد حفظت عن غير واحد طلب الإجابة عند نزول الغيث وإقامة الصلاة. اهـ[٤].

وقال ابن رجب رحمه الله تعالى في شرحه على صحيح البخاري: ووردت أحاديث وآثار في الدعاء قبل الدخول في الصلاة. اهـ[٥].

---

(١) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (المجلد السادس).

(٢) كتاب اللقاء الشهري لابن عثيمين (٢٣/١٠).

(٣) موسوعة الفتاوى، الموقع الرسمي لفضيلة الشيخ صالح الفوزان على شبكة الإنترنت.

(٤) الأذكار للإمام النووي (صفحة ٩٨).

(٥) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن رجب الحنبلي (٥/٤٤٥).

كما قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في موضع آخر: وقد نقل المروذيُّ عن الإمام أحمد أنه كان إذا أخذ المؤذن في الإقامة رفع يديه ودعَا. اهـ[١].

كما رأى بكر أبو زيد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى مشروعية الدعاء بعد الإقامة حيث قال: أما دعاء الواحد منا بعد الأذان، وبعد الإقامة، فهو مظنة الإجابة، كما ورد الحديث بذلك، وكان الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى يرفع كفيه ويدعو، ولم أدر مستنده في الرفع فليحرر. اهـ[٢].

ونُقل عن المقريزي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في تذكرته قوله: يستجاب الدعاء في أوقات منها: عند القيام إلى الصلاة، وعند لقاء العدو في الحرب، وإذا قال مثل ما يقول المؤذن.... اهـ[٣].

أقول: ولا يلزم في الدعاء الذي بعد الإقامة رفع اليدين فيه أو قول دعاء مخصوص لعدم ثبوت ذلك، ولعل المانعين لهذا الدعاء نظروا إلى الهيئة المترتبة عليه فمنعوها لعدم ثبوتها، كرفع اليدين أو سؤال الله تعالى بدعاء مخصوص أو لعدم صحة حديث الباب عندهم.

ويمكن أن نفهم من فتح أبواب السماء عند الإقامة؛ استجابة الدعاء داخل الفريضة وخصوصا أثناء السجود - حينما يكون العبد أقرب إلى ربه ﷻ - وكذلك بعد التشهد كما سيأتي عند الحديث عن الأدعية المستجابة.

ولذا يمكن أن يقال: أن الدعاء أثناء السجود في صلاة الفريضة أحرى بالإجابة من نظيره في النافلة التي بعد الفريضة نظرا لفتح أبواب السماء بعد الإقامة.

---

(١) المصدر السابق (٥/٢٥٩).

(٢) تصحيح الدعاء لبكر بن عبد الله أبو زيد، دار العاصمة (صفحة ١٢٧).

(٣) إهداء الديباجة بشرح سنن ابن ماجه لصفاء العدوي (٢/٤١١).

قال عون بن عتبة رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: اجعلوا حوائجكم اللاتي تهمكم في الصلاة المكتوبة، فإن الدعاء فيها كفضلها على النافلة[١].

(٣) عند منتصف الليل

فعن عثمان بي أبي العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي مناد: هل من داع فيستجاب له؟ هل من سائل فيعطى؟ هل من مكروب فيفرج عنه؟ فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله تعالى له، إلا زانية تسعى بفرجها أو عشار»[٢]، والعشار هو المكّاس[٣].

وروى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا مَضَى شَطْرُ اللَّيْلِ أَوْ ثُلُثَاهُ يَنْزِلُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَيَقُولُ: هَلْ مِنْ سَائِلٍ يُعْطَى؟ هَلْ مِنْ دَاعٍ يُسْتَجَابُ لَهُ؟ هَلْ مِنْ مُسْتَغْفِرٍ يُغْفَرُ لَهُ؟ حَتَّى يَنْفَجِرَ الصُّبْحُ»[٤].

---

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٤/٢٥٣).

(٢) رواه الإمام أحمد -المسند- (١٧٤٥٣)، والطبراني (٨٣٩١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٣٩١).

(٣) قال العظيم آبادي في عون المعبود شرح سنن أبي داود: (صَاحِب مَكْس) فِي الْقَامُوس: الْمَكْس النَّقْص وَالظُّلْم وَدَرَاهِم كَانَتْ تُؤْخَذ مِنْ بَائِعِي السِّلَع فِي الْأَسْوَاق فِي الْجَاهِلِيَّة، أَوْ دِرْهَم كَانَ يَأْخُذهُ الْمُصَدِّق بَعْد فَرَاغه مِنَ الصَّدَقَة انْتَهَى. وَقَالَ فِي النِّهَايَة: هُوَ الضَّرِيبَة الَّتِي يَأْخُذهَا الْمَاكِس وَهُوَ الْعَشَّار انْتَهَى. وَفِي شَرْح السُّنَّة: أَرَادَ بِصَاحِبِ الْمَكْس الَّذِي يَأْخُذ مِنَ التُّجَّار إِذَا مَرُّوا مَكْسًا بِاسْمِ الْعُشْر، فَأَمَّا السَّاعِي الَّذِي يَأْخُذ الصَّدَقَة وَمَنْ يَأْخُذ مِنْ أَهْل الذِّمَّة الْعُشْر الَّذِي صُولِحُوا عَلَيْهِ فَهُوَ مُحْتَسِب مَا لَمْ يَتَعَدَّ فَيَأْثَم بِالتَّعَدِّي وَالظُّلْم اهـ (٨/١١١ ح ٢٩٣٧).

(٤) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٤/٢٧٧)، والبخاري (١١٤٥)، ومسلم واللفظ له (٧٥٨)، والترمذي (٣٤٩٨)، وابن حبان (٩١٩)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٣١٠).

إن الجلوس إلى منتصف الليل أصبح أمرا عاديا لدى غالب الناس، ومنتصف الليل قد يبدأ في دول الخليج العربي الساعة الحادية عشر والنصف في غالب أيام السنة، ومعظم الناس مستيقظين عند هذا الوقت، فإنها لفرصة عظيمة أن نستغل فتح أبواب السماء في هذا الوقت الفاضل بدعاء أو صلاة؛ نبث فيها همومنا وشكايتنا لله ﷻ

إن المستيقظ حتى منتصف الليل وهو جالس يشاهد ما حرم الله عليه عبر القنوات الفضائية الهابطة، لو استشعر وتذكر وآمن بأن أبواب السماء قد فتحت له ولأمثاله، هل يجرؤ أن يسهر على فلم أو مشهد تلفزيوني لا يرضي الله تعالى؟ ألا يجعله يخجل من نفسه ويقلع عن فعله؟

وبعض الناس يحلو لديه السمر في آخر الليل والحديث في أمور الجنس وفيما لا يليق، ولكن من كان يعلم يقينا أن أبواب السماء تفتح في ذلك الوقت الفاضل لا أظنه سيُقْدم على ذلك كله.

فمن نزل به كرب أو شدة أو همٌّ، فليتحين أوقات فتح أبواب السماء ليرفع حاجته ودعواه إلى المولى جل وعلا فهي أحرى بالقبول.

وقد يقول قائل: كيف نجمع بين حديث فتح أبواب السماء عند منتصف الليل سابق الذكر والحديث الذي رواه أبو هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ؟ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ؟ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ؟»[1].

---

(١) رواه الإمام مالك (٤٩٦)، وأحمد -الفتح الرباني- (١٤/٢٧٧)، والبخاري واللفظ له (١١٤٥)، ومسلم (٧٥٨)، والترمذي (٣٤٩٨)، وأبو داود (١٣١٥)، وابن ماجه (١٣٦٦)، والدارمي (١٤٧٨).

⇦ أقول: لعل الحديث الأول يختص بفتح أبواب السماء عند منتصف الليل فحسب، وأما الحديث الثاني فيختص بنزول الرب ﷻ إلى السماء الدنيا في الثلث الأخير من الليل.

⇦ دعاء مخصوص:

وتوجد بعض الأذكار يتأكد قبول قائلها بعد استيقاظه في الليل ويستجاب دعاؤه بعدها، حيث روى عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ - أي استيقظ فتمطى وأنَّ - فَقَالَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاتُهُ»[١].

(٤) يومي الاثنين والخميس

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ كُلَّ يَوْمِ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، فَيُغْفَرُ ذَلِكَ الْيَوْمَ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلاَّ امْرَءًا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»[٢].

كما أن أبواب الجنة تفتح في هذين اليومين العظيمين لما رواه أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الخَمِيسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٤/٢٥٣)، والبخاري واللفظ له (١١٥٤)، والترمذي (٣٤١٤)، وأبو داود (٥٠٦٠)، وابن ماجه (٣٨٧٨)، والدارمي (٢٦٨٧).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢٣/٣٠٢)، والبيهقي في فضائل الأوقات (٢٩٢)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند: إسناده صحيح على شرط مسلم (١٥/٢٢).

يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلاَّ رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا، أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»[1].

وكان النبي ﷺ يحب أن يصوم الاثنين والخميس؛ لأنه يحب أن يعرض عمله وهو صائم، فعن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه أنه قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّكَ تَصُومُ حَتَّى لا تَكَادَ تُفْطِرُ، وَتُفْطِرُ حَتَّى لا تَكَادَ أَنْ تَصُومَ، إِلاَّ يَوْمَيْنِ إِنْ دَخَلا فِي صِيَامِكَ وَإِلاَّ صُمْتَهُمَا، قَالَ: «أَيُّ يَوْمَيْنِ؟» قُلْتُ: يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الخَمِيسِ، قَالَ: «ذَانِكَ يَوْمَانِ تُعْرَضُ فِيهِمَا الأَعْمَالُ عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»[2].

قال البيهقي رحمه الله تعالى: قال الحليمي: في عرض الأعمال يحتمل أن الملائكة الموكلين بأعمال بني آدم يتناوبون، فيقيم معهم فريق من الاثنين إلى الخميس ثم يعرجون، وفريق من الخميس إلى الاثنين ثم يعرجون، كلما عرج أحد الفريقين قرأ ما كتب في الموقف الذي له من السموات، فيكون ذلك عرضًا في الصورة، ويحسبه الله تعالى عبادة الملائكة، فأما هو جل جلاله في نفسه فغني عن عرضهم ونسخهم وهو أعلم بما كسبه العباد. اهـ [3].

لذلك ينبغي للمرء تفقد نفسه في هذين اليومين خاصة؛ لِيُرفع عمله على وجه حسن، فإن لم يستطع أن يصومهما فلا أقل أن يكف فيهما عن المعاصي، خصوصا الشحناء.

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٩/٢٣٨)، ومسلم (٢٥٦٥)، والترمذي (٢٠٢٣)، وأبو داود (٤٩١٦).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢٢/٩٠)، والترمذي (٧٤٧)، والنسائي واللفظ له (٢٣٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٠٤٣).

(٣) فضائل الأوقات للبيهقي، تحقيق عدنان القيسي (صفحة ٥١٨).

فالمسلم يومي الاثنين والخميس بين فرح وخوف، فرح؛ لأنه سيغفر له بإذن الله تعالى طالما أنه لم يقع في شرك ولم يهجر أخاه المسلم، وبين خوف؛ لأنه يخشى أن يُعرض عمله على الله تعالى فلا يرضيه فيغضب عليه.

هذا الحديث لا يجعل المسلم يعيش أيام الأسبوع على رتيبة واحدة، وإنما أن يزداد خوفه وطاعته في بعض الأيام كأيام الاثنين والخميس والجمعة.

كما أن هذا الحديث يؤصل همّ الآخرة في النفس، ويجعل المسلم في مراقبة مستمرة، فإذا لم تستطع صيام هذين اليومين؛ فلا أقل أن تجعلهما في بالك وفكرك، لعله يصيبك بعض الهمِّ والخوف، وهذا بحد ذاته مطلوب وله ثمرته؛ لأنه سيدفعك لتزداد طاعة أو تقلع عن معصية.

⇦ قال ابن رجب: كان بعض التابعين يبكي إلى امرأته يوم الخميس وتبكي إليه ويقول: اليوم تعرض أعمالنا على الله ﷻ[١].

كثير من الناس جعلوا يوم الخميس يوم غفلة وسهر وإجازة عن فعل الخيرات، وبعضهم خصه بالسفر إلى أماكن اللهو والفجور فيمضون يومهم على ما حرم الله تعالى، ولو كانوا يستشعرون ويؤمنون بأن أعمالهم تعرض على الله تعالى ما فعلوا ذلك البتة، فاستشعارك بأن أبواب السماء وأبواب الجنة تفتح وأعمالك تعرض في هذين اليومين على الله تعالى، يهذب النفس وينتشلها من الغفلة ويدفعها للعمل الصالح.

⇦كان مجموعة من الضيوف في مجلس وليمة غداء يوم خميس، فكان أحد الحضور يمزح مع زميل له في نفس المجلس فأرسل له رسالة جوال بها تعليقات وطرائف لا تليق، ففطن لهما أحد أقاربهما فقال لهما: لا يليق بمسلم يؤمن بأن عمله يعرض اليوم على الله ﷻ أن يفعل مثل ذلك العمل، فخجلا وقالا له: أصبت.

---

(١) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من وظائف لابن رجب (صفحة ١١٥).

⇦ قمت بتوزيع استبانة على خمسة وثلاثين شابا سألتهم فيها عن أهم ثلاثة أعمال أو أحداث تخصهم وتهمهم تذكرهم بيوم الاثنين، فذكر لي البعض مواعيد أفلام ولقاءات أسرية وبرامج تلفزيونية ونحو ذلك، وذكر واحد منهم فقط أن هذا اليوم يذكره بالصيام، ولكن لم يذكر أي منهم أنه يوم يذكره بعرض أعماله على رب العالمين، وهذا يشير إلى أن معظم الناس يعيشون في غفلة من أمرهم ولا يعيشون همَّ الآخرة.

نحن لا نطلب أن نحول الاثنين والخميس إلى يومي حزن وعويل ومأتم، وإنما أن نتذكر فيهما على الأقل أن أبواب السماء مفتوحة وأعمالنا الآن تعرض على من لا تخفى عليه خافية، فلعل ذلك يحجزنا عن بعض المعاصي، ويدفعنا إلى الاستزادة من الأعمال الصالحة.

(٥) عند دخول شعبان

إذا كانت السماء تفتح كل اثنين وخميس وترفع فيهما أعمال العباد إلى الله تعالى، فإن الأعمال ترفع إلى الله ﷻ طوال شهر شعبان، ولهذا كان النبي ﷺ يغتنم هذا الحدث العظيم بكثرة الصيام، حيث روى أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ أَرَكَ تَصُومُ شَهْرًا مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ؟ قَالَ: «ذَلِكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ، بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ العَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»[١].

وكان النبي ﷺ يكاد أن يصوم شهر شعبان كله، حيث روت عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ حَتَّى نَقُولَ: لا يُفْطِرُ وَيُفْطِرُ حَتَّى نَقُولَ: لا يَصُومُ،

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢٢/٩٠)، والنسائي واللفظ له (٢٣٥٧)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٠٢٢).

فَمَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ إِلاَّ رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ أَكْثَرَ صِيَامًا مِنْهُ فِي شَعْبَانَ[١].

ومن فضائل هذا الشهر؛ أن الرب جل وعلا ينزل إلى السماء الدنيا في ليلة النصف من شعبان، فيغفر لكل المسلمين إلا المتشاحنين، حيث روى أبو موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَيَطَّلِعُ فِي لَيْلَةِ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، فَيَغْفِرُ لِجَمِيعِ خَلْقِهِ، إِلاَّ لِمُشْرِكٍ أَوْ مُشَاحِنٍ»[٢].

لذلك ينبغي استغلال هذا الشهر بالعمل الصالح عموما، وبالصيام وترك الشحناء خصوصا، لئلا نكون فيه من الغافلين والمحرومين من فضل الله تعالى، ولا يشرع تخصيص ليلة النصف من شعبان بقيام، أو نهارها بصيام؛ لعدم صحة الأحاديث الواردة في ذلك.

وهناك اعتقاد لدى بعض الناس أن ليلة النصف من شعبان هي الليلة التي تنسخ فيها الآجال ويُفْرَقُ فيها كل أمر حكيم؛ ولذلك حرصوا على إحيائها، وهذا يخالف صريح القرآن، حيث يقول جل وعلا في مطلع سورة الدخان: ﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ١-٤]، فبين تبارك وتعالى أن القرآن الكريم أُنزل في ليلة مباركة، يُفْرَقُ فيها كل أمر حكيم، حيث تُنسخ فيها الآجال لعام كامل، والليلة المباركة هي ليلة القدر التي نزل فيها القرآن؛ وليس ليلة النصف من شعبان، يُفهم ذلك من قوله تعالى في سورة القدر: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١-٢].

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٠/١٩٨)، والبخاري واللفظ له (١٩٦٩)، ومسلم (١١٥٦)، والنسائي (٢١٧٨)، وأبو داود (٢٤٣٤)، وابن ماجه (١٧١٠).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢٣/٣٠٥)، وابن ماجه واللفظ له (١٣٩٠)، والطبراني (٢١٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٨١٩).

ومن فاته فرصة الصيام في أول شعبان حتى انتصف الشهر؛ فاته خير كثير، ويرى بعض أهل العلم أنه لا يشرع له الصيام بعد ذلك حتى يأتي رمضان، استنادا لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا انْتَصَفَ شَعْبَانُ، فلا تَصُومُوا حتى يَكونَ رَمَضَانُ» وفي رواية لابن ماجه: «إِذَا كَانَ النِّصْفُ مِنْ شَعْبَانَ، فَلا صَوْمَ حَتَّى يَجِيءَ رَمَضَانُ»[1].

(٦) عند دخول رمضان

فعن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ، فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ»[2].

وروى عُتْبَةُ بْنُ فَرْقَدٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «فِي رَمَضَانَ تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ النَّارِ، وَيُصَفَّدُ فِيهِ كُلُّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ، وَيُنَادِي مُنَادٍ كُلَّ لَيْلَةٍ: يَا طَالِبَ الخَيْرِ هَلُمَّ، وَيَا طَالِبَ الشَّرِّ أَمْسِكْ»[3].

قال الطيبي رحمه الله تعالى: يمكن أن يكون فائدة الفتح -أي فتح أبواب السماء- توقيف الملائكة على استحماد فعل الصائمين، وإن ذلك من الله تعالى بمنزلة عظيمة، وأيضا إذا علم المكلف المعتقد ذلك بإخبار الصادق؛ يزيد في نشاطه ويتلقاه بأريحيته. اهـ[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢٠٥/١٠)، وأبو داود (٢٣٣٧)، والترمذي (٧٣٨)، وابن ماجه (١٦٥١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٧).

(٢) رواه الإمام أحمد -المسند- (٧٧٢٣)، والبخاري واللفظ له (١٨٩٩)، والنسائي (٢١٠٢).

(٣) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢٢٧/٩)، والنسائي واللفظ له (٢١٠٨)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (٢١٠٧).

(٤) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح - المسمى الكاشف عن حقائق السنن- (١٦٢/٤).

وتفتح أبواب السماء طوال هذا الشهر الكريم؛ لكثرة نزول الملائكة، ولاستجابة دعاء الصائمين، وقد أُمر الصائمون في رمضان بكثرة الدعاء، ونزلت آية مخصوصة بذلك، بل وجعلت هذه الآية بين آيات الصيام وأحكامه، هي قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾[البقرة: ١٨٦].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ عُتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، لِكُلِّ عَبْدٍ مِنْهُمْ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ»[1].

وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ «إن لله تبارك وتعالى عتقاء في كل يوم وليلة -يعني في رمضان- وإن لكل مسلم في كل يوم وليلة دعوة مستجابة»[2].

قال المناوي رحمه الله تعالى في قوله ﷺ «دعوة مستجابة»: أي عند فطره أو عند بروز الأمر بعتقه، وهذه منقبة عظيمة لرمضان وصوّامه وللدعاء والداعي. اهـ[3].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللهُ فَوْقَ الغَمَامِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد واللفظ له -الفتح الرباني- (٩/١٠)، وابن ماجه (١٦٤٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢١٦٩).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٦٤٠١)، والبزار، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره (١٠٠٢).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٢/٤٧٧ ح٢٣٤٨).

(٤) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٩/٢٣٧)، وأبو داود (١٥٣٦)، والترمذي واللفظ له (٣٥٩٨)، وابن ماجه (١٧٥٢)، وابن حبان (٢٦٩٩)، وابن خزيمة (١٩٠١)، وحسنه ابن حجر =

ولا يستغرب عدم رد دعوة الصائم حين فطره؛ لأنه يدعو عند أذان المغرب، وهو الوقت الذي تفتح فيه أبواب السماء، ولا يرد فيه الدعاء كما سبق بيانه، حيث روى أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**إذا نادى المنادي، فتحت أبواب السماء، واستجيب الدعاء**»[1].

ويتأكد الدعاء في ليلة القدر لاجتماع عدة خصال فيها؛ كفتح أبواب السماء من أول رمضان، ونزول جبريل والملائكة عليهم السلام فيها، ونزول الرب جل وعلا إلى السماء الدنيا بعد منتصف الليل؛ ولذلك سألت عائشة رضي الله عنها عن أفضل دعاء تقوله في هذه المناسبة العظيمة، فماذا قال لها رسول الله ﷺ؟

فعن عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؛ أَرَأَيْتَ إِنْ عَلِمْتُ أَيَّ لَيْلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ، مَا أَقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: قُولِي: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ عَفُوٌّ كَرِيمٌ، تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي**»[2].

❊ ❊ ❊

=

في هداية الرواة، ووافقه عبد القادر الأرناؤوط في جامع الأصول (١٢/١١)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند: حديث صحيح بطرقه وشواهده (٤٦٣/١٥)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١٣١٦).

(١) سبق تخريجه (ص١٩).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢٦٦/١٠)، والترمذي واللفظ له (٣٥١٣)، وابن ماجه (٣٨٥٠)، والحاكم (١٩٤٢)، والنسائي في السنن الكبرى (٧٧١٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٤٢٣).

⇦ خلاصة هذا الفصل ثلاثة أمور:

(الأول) ينبغي احترام وقت فتح أبواب السماء بالكف عن المعاصي أولا، ثم استغلاله بالعمل الصالح بأن ترفع لنفسك خيرا كما كان النبي ﷺ يحرص على ذلك.

(ثانيا) الحذر من الدعاء على النفس أو المال أو الولد خاصة عند وقت فتح أبواب السماء؛ لأنها أوقات نيل وعطاء يستجاب فيها الدعاء، فقد تجد دعوتك بابا مفتوحا فيستجاب لك فتندم. ويكثر هذا الأمر بين النساء فينبغي تحذيرهن، فقد روى جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«لا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَلا تَدْعُوا عَلَى أَوْلادِكُمْ وَلا تَدْعُوا عَلَى خَدَمِكُمْ وَلا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ لا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سَاعَةَ نَيْلٍ فِيهَا عَطَاءٌ فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ»**[1].

(ثالثا) هناك أوقات أخرى فاضلة يحتمل أن تفتح فيها أبواب السماء، سيتم ذكرها في المبحث الأول من الفصل الثالث؛ كوقت نزول المطر ويوم عرفة ويوم الجمعة.



(١) رواه الإمام مسلم (٣٠١٤)، وأبو داود واللفظ له (١٥٣٢).

الفصل الثالث

أشياء تفتح لها أبواب السماء

تمهيد

إن الكلام الطيب تفتح له أبواب السماء ليصعد إلى الله تعالى، قال الشوكاني رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى في تفسيره عند قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]: أي إلى الله يصعد لا إلى غيره، ومعنى صعوده إليه؛ قبوله له أو صعود الكتبة من الملائكة بما يكتبونه من الصحف، وخص الكلم الطيب بالذكر لبيان الثواب عليه، وهو يتناول كل كلام يتصف بكونه طيبا من ذكر لله وأمر بمعروف ونهى عن منكر وتلاوة وغير ذلك، فلا وجه لتخصيصه بكلمة التوحيد أو بالتحميد والتمجيد. اهـ[١].

ينبغي أن نعلم بأن هناك بعض الأعمال الصالحة القولية والفعلية التي أكَّد عليها النبي ﷺ بأنها تفتح لها أبواب السماء، فهي بمثابة مفاتيح لأبواب السماء أو لبعض أبوابها، ومتى ما فتح لك باب فاعلم بأن حسن القبول وتنزل الرحمة عنده بإذن الله تعالى؛ لذلك ينبغي العناية بمثل هذه الأعمال، وهي نوعان: قولية وفعلية، كما أن هناك أرواح تفتح لها أبواب السماء، وأرواح لا تفتح لها أبواب السماء، وهذا الفصل يتحدث عن الأشياء التي خصها النبي ﷺ بالذكر أنها تفتح لها أبواب السماء، وذلك في ثلاثة مباحث.

---

(١) فتح القدير للشوكاني (٤/ ٣٤١).

المبحث الأول
أذكار تفتح لها أبواب السماء

۞ (الذكر الأول) أحد أدعية استفتاح الصلاة

أدعية استفتاح الصلاة عديدة ومتنوعة تصل إلى اثني عشر دعاءً، وجاء في فضل بعضها أنه تفتح له أبواب السماء ومن ذلك:

(الحديث الأول) ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنِ القَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟» قَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «عَجِبْتُ لَهَا؛ فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ»، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ[1].

(الحديث الثاني) ما رواه أنس أَنَّ رَجُلًا جَاءَ فَدَخَلَ الصَّفَّ وَقَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ، فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَلاتَهُ قَالَ: «أَيُّكُمُ المُتَكَلِّمُ بِالكَلِمَاتِ؟» فَأَرَمَّ -أي: سكت- القَوْمُ، فَقَالَ: «أَيُّكُمُ المُتَكَلِّمُ بِهَا، فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ بَأْسًا»، فَقَالَ رَجُلٌ: جِئْتُ وَقَدْ حَفَزَنِي النَّفَسُ فَقُلْتُهَا، فَقَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَرْفَعُهَا»[2]، أقول: ولعل مفهوم «أَيُّهُمْ يَرْفَعُهَا» أنها ستفتح لها أبواب السماء.

---

(١) سبق تخريجه (ص٣).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٥/٢٧٠)، ومسلم (٦٠٠)، والنسائي (٩٠١)، وأبو داود (٧٦٣)، وابن حبان (١٧٦١)، وابن خزيمة (٤٦٦)، وأبو يعلى (٢٩١٥).

⇦ فوائد وأحكام من أدعية استفتاح الصلاة:

الفائدة الأولى: دعاء استفتاح الصلاة أحد سنن الصلاة، التي يثاب قائله ويحرم الثواب تاركه.

الفائدة الثانية: أدعية الاستفتاح عديدة، يفضل التنويع فيها للعمل بكل السنة الواردة، كما أنه أدعى للخشوع والتدبر[(١)].

الفائدة الثالثة: لا يستحب بعض أهل العلم قول دعاء الاستفتاح في صلاة الجنازة، لأنها صلاة مبنية على التخفيف والاختصار، بينما يرى آخرون استحبابها[(٢)].

الفائدة الرابعة: لا يشرع الزيادة في دعاء الاستفتاح بما ليس فيه، ويكثر هذا في الدعاء الذي روته عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلاةَ قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ»[(٣)].

فالبعض يزيد في آخره قول: «ولا معبود سواك»، والغريب أنهم لا يرفعون أصواتهم به إلا عند هذه العبارة المزيدة، وهذا من تزيين الشيطان وحرصه على نشر البدعة بين الناس.

فلا يشرع الزيادة على قول رسول الله ﷺ ولو بعبارات حسنة وجميلة وبالأخص داخل الصلاة، إذ يعد ذلك بدعة في الدين، ويفقد الكلمات النبوية بركتها وفاعليتها وسرها.

---

(١) الشرح الممتع على زاد المستقنع لابن عثيمين (٣/ ٦٢).

(٢) انظر المجموع شرح المهذب للنووي، تحقيق محمد المطيعي (٣/ ١٩٢).

(٣) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٣/ ١٧٧)، والترمذي (٢٤٣)، وأبو داود واللفظ له (٧٧٦)، والنسائي (٩٠٠)، وابن ماجه (٨٠٤)، والدارمي (١٢٣٩)، وابن خزيمة (٤٧٠)، والحاكم (٨٥٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٦٦٧).

وقد حصل أن أحد الصحابة رضي الله عنهم غيَّر كلمة نبوية بأخرى مشابهة لها، ظاهرها لا يخل بالمعنى، فقوَّمه النبي ﷺ بنفسه، وكأنه يؤدبه على امتثال الأمر؛ وأن لا يغير في الأدعية النبوية شيئا فتفقد فاعليتها وبركتها وسرها.

فقد روى البَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَا مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ»، قَالَ: فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا بَلَغْتُ: اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، قُلْتُ: وَرَسُولِكَ، قَالَ: «لا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»، وعند الترمذي قَالَ: فَرَدَّدْتُهُنَّ لأَسْتَذْكِرَهُ، فَقُلْتُ: آمَنْتُ بِرَسُولِكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَقَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ»[1].

⇦ كما أن بعض المصلين قد يضيف كلمة «سيدنا» عند ذكر التشهد الأول فيقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله، ويرددها ثماني مرات في الصلاة الإبراهيمية في التشهد الثاني، والصواب عدم شرعية هذه الزيادة في الصلاة لعدم ورودها، فينبغي المحافظة على الوارد امتثالا وتأدبا مع النبي ﷺ.

فقد روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: كُنَّا نَقُولُ التَّحِيَّةَ فِي الصَّلاةِ، وَنُسَمِّي، وَيُسَلِّمُ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ، فَسَمِعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «قُولُوا: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلامُ عَلَيْنَا،

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢٤٩/١٤)، والبخاري واللفظ له (٢٤٧)، ومسلم (٢٧١٠)، والترمذي (٣٣٩٤)، وأبو داود (٥٠٤٦)، وابن ماجه (٣٨٧٦)، والدارمي (٢٦٨٣)، وابن حبان (٥٥٣٦)، وأبو يعلى (١٦٦٨)، والطبراني في الكبير (٤٤٢٠)، والبخاري في الأدب المفرد (١٢١١)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٦٢٢).

وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَإِنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذَلِكَ، فَقَدْ سَلَّمْتُمْ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ»[1].

⇦ لذلك أقترح على كل إمام مسجد أن يطرح موضوعا عن أخطاء الناس في صلاتهم، وهي كثيرة، وتوجد بعض المصنفات في هذا الموضوع المهم.

⇦ كما أنصح كل مسلم بمراجعة أدعية الصلاة، فقد يكون ممن حفظها خطأ في صغره، لا سيما أن كُتُب الحديث متوفرة، وقد خُرِّجت جل الأحاديث فَعُرِفَ صحيحها من ضعيفها ولله الحمد.

فالعبارات النبوية محددة، ولها حكمة في ألفاظها، والنبي ﷺ قد أوتي جوامع الكلم، فهو لا ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى؛ لذلك لا ينبغي الزيادة أو تغيير كلام النبي ﷺ فتذهب بركة هذه الكلمات وسرها، ودليل ذلك يمكن أن نفهمه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ أَوْ يُمْسِي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ، وَأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ، وَمَلائِكَتَكَ، وَجَمِيعَ خَلْقِكَ، أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، أَعْتَقَ اللَّهُ رُبْعَهُ مِنَ النَّارِ، فَمَنْ قَالَهَا مَرَّتَيْنِ، أَعْتَقَ اللَّهُ نِصْفَهُ، وَمَنْ قَالَهَا ثَلاثًا، أَعْتَقَ اللَّهُ ثَلاثَةَ أَرْبَاعِهِ، فَإِنْ قَالَهَا أَرْبَعًا أَعْتَقَهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ»[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٤/٤)، والبخاري واللفظ له (١٢٠٢)، ومسلم (٤٠٢)، والترمذي (٢٨٩)، وأبو داود (٩٦٨)، والنسائي (١٢٩٨)، وابن ماجه (٨٩٩)، والدارمي (١٣٤٠).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٠١)، وأبو داود واللفظ له (٥٠٦٩)، والحاكم (١٩٢٠)، والنسائي في السنن الكبرى (٩٨٣٧)، والبخاري في الأدب المفرد (١٢٠١)، والطبراني في الكبير (٦٠٦١)، وجود إسناده النووي في الأذكار (صفحة ١٥١ ح ١٨١)، وحسنه ابن حجر في نتائج الأفكار (٣٧٥/٢)، وابن القيم في زاد المعاد (٣٧٢/٢)، وعبد القادر الأرناؤوط في تخريجه لجامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير (٢٤٠/٤)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (٥٧٣١).

فمن أسرار تكرار هذا الذكر أربع مرات؛ ما قاله ابن العماد رَحِمَهُ اللهُ تعالى في كشف الأسرار عما خفي من الأذكار حيث قال: وقال بعض الأشياخ: تكريره هذه الكلمات أربع مرات، يبلغ حروفها ثلاث مئة وستين حرفا، وابن آدم مركب من ثلاث مئة وستين عضوا، فعتق الله منه بكل حرف عضوا من أعضائه، فإذا قالها مرة أعتق الله ربعه. اهـ[١].

⇦ ولعل سائلا يقول: هل يشرع للمرأة تبديل كلمة عبدك إلى كلمة أَمَتِكَ في بعض الأدعية الواردة؟

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ تعالى: وتقول المرأة في سيد الاستغفار وما في معناه: وأنا أَمَتُكَ بنت أَمَتِك أو بنت عبدك، ولو قالت: وأنا عبدك فله مخرج في العربية بتأويل شخص. اهـ[٢].

وقال ابن علان رَحِمَهُ اللهُ تعالى: ظَاهِرُ كَلام أَئِمَّتِنَا أَنَّ المَرْأَةَ تَقُولُ: (وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ)، (وَأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ)، لأَنَّ مِثْلَ ذَلِكَ سَائِغٌ لُغَةً، شَائِعٌ اسْتِعْمَالًا، وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ﴾ [التحريم: ١٢]، ووجْههُ أنهُ مِنْ بَابِ التغليبِ أو على إرادةِ الأشخاص، وَقَدْ لَقَّنَ ﷺ (إن صلاتي) (وَأَنَا أول المُسْلِمِينَ) فَاطِمَةَ الزهراء رَضِيَ اللهُ عَنْهَا فِي ذَبْحِ الأُضْحِيَّةِ، وَقِيَاسُ ذَلِكَ أَنْ تَأْتِيَ المرأة بِـ(حَنِيفًا مُسْلِمًا) بِالتَّذْكِيرِ، عَلَى إِرَادَةِ الشَّخْصِ، مُحَافَظَةً عَلَى الوَارِدِ مَا أَمْكَنَ. اهـ[٣].

الفائدة الخامسة: دعاء الاستفتاح سُنة من تركه عامدا أو ناسيا لا يجبر صلاته بسجود سهو؛ لذلك ينبغي العلم بأركان الصلاة وواجباتها وسننها، وأن لا يتقدم للإمامة إلا من عرف ذلك.

---

(١) الفتوحات الربانية على الأذكار النووية لابن علان الصديقي (١٠٦/٣).

(٢) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٤٢٨/٤).

(٣) الفتوحات الربانية على الأذكار النووية لابن علان الصديقي (١٦٧/٢).

الفائدة السادسة: من نسي الاستفتاح أو تركه عمدا حتى شرع في الاستعاذة لم يَعُدْ إليه؛ لأنه سنة فات محلها[1]، أما لو أحرم مسبوق فأَمَّنَ الإمامُ عقب إحرامه؛ أَمَّنَ ثم أتى بالاستفتاح؛ لأن التأمين يسير[2].

⇦ **وُسئل ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: إذا دخل المصلي مع الإمام وهو يقرأ الفاتحة هل يقرأ دعاء الاستفتاح؟**

فأجاب قائلا: إذا دخل الرجل مع الإمام والإمام يقرأ الفاتحة فإنه يكبر وينصت، فإذا فرغ الإمام من الفاتحة استفتح ثم قرأ الفاتحة، أما إذا دخل مع الإمام بعد أن قرأ الفاتحة وهو يقرأ السورة التي بعدها؛ فهنا يقرأ الفاتحة ولا يستفتح وذلك لأنه لا مكان للاستفتاح في هذه الحالة، إذ أن الإمام إذا كان يقرأ فلا يقرأ وهو يقرأ إلا بفاتحة الكتاب، وعلى هذا فيكون هذا التفصيل: إذا دخل وهو يقرأ الفاتحة سكت، فإذا فرغ الإمام من الفاتحة استفتح ثم قرأ الفاتحة، وإن دخل مع الإمام بعد أن قرأ الفاتحة وهو يقرأ في سورة أخرى فإنه يكبر ثم يقرأ الفاتحة بدون استفتاح؛ لأن الاستفتاح هنا لا مكان له. اهـ[3].

الفائدة السابعة: لا يشرع الاهتمام بدعاء الاستفتاح أكثر من الاهتمام بفاتحة الكتاب.

فالبعض قد يهتم بدعاء الاستفتاح -وهو سُنَّة- أكثر من اهتمامه بالفاتحة -وهي ركن- دون أن يشعر، ويحدث هذا في صورٍ منها:

---

(١) المغني لابن قدامة، تحقيق د. عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو (٢/١٤٥).

(٢) المجموع شرح المهذب للنووي، تحقيق محمد المطيعي (٣/١٩٢).

(٣) لقاءات الباب المفتوح (من ١: ٧٠) مع الشيخ محمد بن عثيمين، إعداد د. عبد الله الطيار، سؤال رقم (٢٦٢).

الصورة الأولى: من قام متأخرا عن صلاة الفجر وشرع في الصلاة قبيل الشروق وهو يعلم بأن الشمس ستشرق عليه بعد ثوانٍ معدودة؛ فيقرأ دعاء الاستفتاح والفاتحة ثم سورة بعدها، فتطلع عليه الشمس وهو لم يركع بعد، وكان الواجب البدء بالفاتحة مباشرة بعد تكبيرة الإحرام؛ لأنها ركن وترك ما سواها من السنن كي يدرك الركوع قبل شروق الشمس، لئلا تقع صلاته خارج الوقت فيقع في إثم عظيم.

فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَدْرَكَ رَكْعَةً مِنَ الصُّبْحِ، قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، فَقَدْ أَدْرَكَ الصُّبْحَ، وَمَنْ أَدْرَكَ رَكْعَةً مِنَ العَصْرِ، قَبْلَ أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَقَدْ أَدْرَكَ العَصْرَ»(١).

الصورة الثانية: من يدخل في الصلاة متأخرا ويعلم أن الإمام سيركع بعد ثوانٍ معدودة لا تكفي لقراءة دعاء الاستفتاح والفاتحة وسورة، ومع ذلك ينشغل بعد دخوله الصلاة بقراءة دعاء الاستفتاح وهو سُنَّة، ويركع ولم يقرأ الفاتحة وهي ركن؛ لذلك إذا دخلت والإمام يقرأ سورة وعلى وشك الانتهاء منها للركوع: فابدأ بالفاتحة مباشرة بعد تكبيرة الإحرام وليس بدعاء الاستفتاح(٢).

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٦/١٠٧)، والبخاري (٥٧٩)، ومسلم واللفظ له (٦٠٨)، والترمذي (١٨٦)، وأبو داود (٤١٢)، والنسائي (٥١٧)، وابن ماجه (٦٩٩)، والدارمي (١٢٢٢).

(٢) انظر بتوسع: أسنى المطالب شرح روض الطالب لزكريا الأنصاري (١/١٤٩)، والموسوعة الفقهية (الجزء الرابع: استفتاح المسبوق).

⇦ أدعية استفتاح الصلاة:

أدعية استفتاح الصلاة عديدة ومتنوعة تصل إلى اثني عشر دعاءً، وبعض هذه الأدعية كان النبي ﷺ يقولها حين يتنفل في قيام الليل، ومن أشهرها الآتي:

(١) روت عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا اسْتَفْتَحَ الصَّلاةَ قَالَ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ»[(١)].

ويعتبر هذا الاستفتاح من أحب الكلام إلى الله تعالى، وذلك للحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إن أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد: سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالى جدك، ولا إله غيرك، وإن أبغض الكلام إلى الله أن يقول الرجل للرجل: اتق الله، فيقول: عليك نفسك»[(٢)].

وكان ﷺ يقول هذا الدعاء في قيام الليل ويزيد عليه (لا إله إلا الله) ثلاث مرات، و(الله أكبر كبيرا) ثلاث مرات، حيث روى أبو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ ثُمَّ يَقُولُ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ، وَلا إِلَهَ غَيْرُكَ»، ثُمَّ يَقُولُ: «لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ»، ثَلاثًا؛ ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا»، ثَلاثًا؛ «أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ» ثُمَّ يَقْرَأُ[(٣)].

(٢) روى عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاةِ قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ المُشْرِكِينَ، إِنَّ

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٧).

(٢) رواه النسائي في السنن الكبرى واللفظ له (١٠٦٨٥)، والطبراني في الكبير (٨٥٨٧)، والبيهقي، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٩٣٩).

(٣) رواه أبو داود واللفظ له (٧٧٥)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٧٠١).

صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ، لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ المَلِكُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاقِ، لا يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»[1].

(٣) وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: بَيْنَمَا نَحْنُ نُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ قَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: «اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنِ القَائِلُ كَلِمَةَ كَذَا وَكَذَا؟» قَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «عَجِبْتُ لَهَا؛ فُتِحَتْ لَهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ»، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَمَا تَرَكْتُهُنَّ مُنْذُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ ذَلِكَ[2].

(٤) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا كَبَّرَ فِي الصَّلاةِ سَكَتَ هُنَيَّةً قَبْلَ أَنْ يَقْرَأَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أَرَأَيْتَ سُكُوتَكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالقِرَاءَةِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ: «أَقُولُ: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ؛ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ؛ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ؛ بِالثَّلْجِ وَالمَاءِ وَالبَرَدِ»[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٣/١٨١)، ومسلم واللفظ له (٧٧١)، والترمذي (٣٤٢١)، وأبو داود (٧٦٠)، والنسائي (٨٩٧)، والدارمي (١٢٣٨).

(٢) سبق تخريجه (ص٣).

(٣) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٣/١٧٦)، والبخاري (٧٤٤)، ومسلم واللفظ له (٥٩٨)، والنسائي (٦٠)، وأبو داود (٧٨١)، وابن ماجه (٨٠٥)، والدارمي (١٢٤٤).

(٥) وروى أنس رضي الله عنه أَنَّ رَجُلًا جَاءَ فَدَخَلَ الصَّفَّ وَقَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ، فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صلاتَهُ قَالَ: «أَيُّكُمُ المُتَكَلِّمُ بِالكَلِمَاتِ؟» فَأَرَمَّ -أي سكت- القَوْمُ، فَقَالَ: «أَيُّكُمُ المُتَكَلِّمُ بِهَا، فَإِنَّهُ لَمْ يَقُلْ بَأْسًا»، فَقَالَ رَجُلٌ: جِئْتُ وَقَدْ حَفَزَنِي النَّفَسُ فَقُلْتُهَا، فَقَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ اثْنَيْ عَشَرَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَرْفَعُهَا»[١].

(٦) وروى عَاصِمُ بْنُ حُمَيْدٍ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ بِمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَفْتِحُ قِيَامَ اللَّيْلِ قَالَتْ: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكَبِّرُ عَشْرًا، وَيَحْمَدُ عَشْرًا، وَيُسَبِّحُ عَشْرًا، وَيُهَلِّلُ عَشْرًا، وَيَسْتَغْفِرُ عَشْرًا، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي، وَعَافِنِي، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ضِيقِ المَقَامِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[٢].

(٧) وروى ابن عباس رضي الله عنهما كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد قال: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَوْ لا إِلَهَ غَيْرُكَ»[٣].

---

(١) سبق تخريجه (ص٣٦).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢٤٥/٤)، والنسائي واللفظ له (١٦١٧)، وأبو داود (٧٦٦)، وابن ماجه (١٣٥٦)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٧٠٦)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (١٥٢٥).

(٣) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢٤٦/٤)، والبخاري واللفظ له (٦٣١٧)، ومسلم (٧٦٩)، والترمذي (٣٤١٨)، والنسائي (١٦١٩)، وابن ماجه (١٣٥٥). والدارمي (١٤٨٦).

(٨) وعَنْ حُذَيْفَةَ بن اليمان رضي الله عنه أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللهِ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَكَانَ يَقُولُ: «اللهُ أَكْبَرُ -ثَلاثًا- ذُو المَلَكُوتِ وَالجَبَرُوتِ وَالكِبْرِيَاءِ وَالعَظَمَةِ»، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ فَقَرَأَ البَقَرَةَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ...[١].

(٩) وروى أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: سألت عائشة أم المؤمنين بأي شيء كان نبي الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته: «اللَّهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[٢].

۞ (الذكر الثاني) دعوة المظلوم

فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى اليَمَنِ، فَقَالَ: «اتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»[٣].

وطالما أن هذه الدعوة لم يقف أمامها حجاب؛ دلَّ على أن أبواب السموات فتحت لها، حتى لو كانت من كافر أو فاسق.

فعن أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إياكم ودعوة المظلوم وإن كانت من كافر، فإنه ليس لها حجاب دون الله عز وجل»[٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد- الفتح الرباني- (٢٤٣/٤)، وأبو داود واللفظ له (٨٧٤)، والنسائي (١١٤٥)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (١٠٩٧).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢٤٥/٤)، ومسلم واللفظ له (٧٧٠)، والترمذي (٣٤٢٠)، والنسائي (١٦٢٥)، وأبو داود (٧٦٧)، وابن ماجه (١٣٥٧).

(٣) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٨١/١)، والبخاري (٢٤٤٨)، ومسلم (١٩)، والترمذي (٢٠١٤)، وأبو داود (١٥٨٤)، وابن ماجه (١٧٨٣).

(٤) رواه سمويه، والقضاعي في مسند الشهاب (٩٦٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٨٢).

وفي رواية له ﷺ أن النبي ﷺ قال: «اتَّقُوا دَعْوَةَ المَظْلُومِ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا، فَإِنَّهُ لَيْسَ دُونَهَا حِجَابٌ»(١).

وروى أبو هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «دَعْوَةُ المَظْلُومِ مُسْتَجَابَةٌ، وَإِنْ كَانَ فَاجِرًا، فَفُجُورُهُ عَلَى نَفْسِهِ»(٢).

ولذلك حذر النبي ﷺ من دعوة المظلوم أيما تحذير، وكرره في عدة مناسبات، حيث روى خزيمة بن ثابت ﷺ أن النبي ﷺ قال: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تُحمل على الغمام، يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنَّك ولو بعدَ حين»(٣).

وروى ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تصعَدُ إلى السماء كأنَّها شَرارَةٌ»(٤)، فشبهت سرعة صعودها بسرعة طيران الشرار من النار.

وروى أبو الدرداء ﷺ أن النبي ﷺ قال: «اعبد الله كأنك تراه، وعد نفسك في الموتى، وإياك ودعوات المظلوم فإنهن مجابات، وعليك بصلاة الغداة وصلاة العشاء فاشهدهما، فلو تعلمون ما فيهما لأتيتموهما ولو حبوا»(٥).

وعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «ثَلاثَةٌ لا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّى يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللهُ فَوْقَ الغَمَامِ، وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ

---

(١) رواه الإمام أحمد واللفظ له -المسند- (١٢١٤٠)، وأبو يعلى، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١١٩).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢٣٦/١٩)، والطيالسي (٢٣٣٠)، والقضاعي في مسند الشهاب (٣١٥)، وابن أبي شيبة (٢٩٣٧٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٨٢).

(٣) رواه الطبراني (٣٧١٨)، والقضاعي في مسند الشهاب (٧٣٣)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره (٢٢٣٠).

(٤) رواه الحاكم واللفظ له (٨١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٢٨).

(٥) رواه الطبراني، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٠٣٨).

السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ»[(١)].

لذلك فاحذر كل الحذر ظلم العمال والخدم ومن تعول وسائر من تتعامل معه.

فالظالم لغيره إن لم يبادر للتوبة ويرجع الحق لأهله فإنه سيخسر كثيرا من حسناته يوم القيامة وقد يخسرها كلها، لما رواه أبو هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لا دِرْهَمَ لَهُ وَلا مَتَاعَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ»[(٢)].

وقد يقول قائل: بأنه دعا الله تعالى كثيرا على مَنْ ظلمه ولم يُستجب له؛ وهاهم الفلسطينيون على سبيل المثال يضطهدون من قِبَل اليهود منذ عشرات السنين؛ على مرأى ومسمع من العالم أجمع، فلِمَ لَمْ ينزل عليهم نصر الله ﷻ؟!

فأقول: إن سُنة الله تعالى في الظالمين معلومة، فإذا أبغض الله تعالى ظالما فقد يؤخر الله عقوبته، ويملي له، ويطيل عمره استدراجا له، ليزداد ظلمه وإثمه، فيزداد عقابه في الآخرة، قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢]، وروى أَبُو مُوسَى الأشعري ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»، قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ

(١) سبق تخريجه (ص٣١).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢٤/ ١٥٠)، ومسلم واللفظ له (٢٥٨١)، والترمذي (٢٤١٨)، وابن حبان (٤٤١١)، والبيهقي (١١٢٨٤)، والطبراني في الأوسط (٢٧٧٨)، وأبو يعلى (٦٤٩٩).

﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢][(١)].

أما من عجَّل الله عقوبته في الدنيا فقد يخف عنه عقاب الآخرة؛ لأن عقابها أشد، قال تعالى: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ١٢٧]؛ ولذلك جاء عن أَنَسِ بن مالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الخَيْرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا، وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِعَبْدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّى يُوَافِيَ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»[(٢)].

وقد يؤخر الله تعالى عقوبة ذلك الظالم لحلمه على عباده ورغبة أن يتوبوا إليه ويرجعوا عن ظلمهم.

وقد يؤخر الله تعالى إجابة دعوة المظلوم ليستكثر من الدعاء، فالدعاء عبادة جليلة يحبها الله ويحب المتضرعين له، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴾ [الأنعام: ٤٢].

ومهما تأخرت عقوبة الظالم فهي قادمة في الدنيا قبل الآخرة؛ لوعد رسول الله ﷺ، حيث روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «بابان معجلان عقوبتهما في الدنيا: البغي والعقوق»[(٣)].

وبعض الناس يخطئ في دعائه على من ظلمه بقوله: الله يظلم من ظلمني، وهذا لا يصح؛ لأن الله عز وجل لا يظلم الناس شيئا، وقد حرم الظلم على نفسه جل جلاله.

كما أن البعض الآخر قد يسأل الله تعالى -جهلا منه- أن يكون مظلوما وليس ظالما، ولا شك أن هذا خلاف السنة؛ لأن النبي ﷺ كان يتعوذ من ذلك؛ لما روته أُمُّ

---

(١) رواه الإمام البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣)، والترمذي (٣١١٠)، وابن ماجه (٤٠١٨).

(٢) رواه الترمذي واللفظ له (٢٣٩٦)، والحاكم (٨٧٩٩)، والطبراني (١١٨٤٢)، وأبو يعلى (٤٢٥٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٨).

(٣) رواه الحاكم (٧٣٥٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٨١٠).

سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ بَيْتِي قَطُّ إِلاَّ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ»(١).

۞ (الذكر الثالث) الدعاء في ساحة الجهاد عند اصطفاف الجنود للقتال

عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ساعتان تفتح فيهما أبواب السماء، وقلما تُرد على داعٍ دعوته؛ عند حضور النداء، والصف في سبيل الله»(٢).

وعن مجاهد عن يزيد بن شجرة وكان يزيد بن شجرة رضي الله عنه ممن يصدق قوله فعله خطبنا فقال: يا أيها الناس، اذكروا نعمة الله عليكم، ما أحسن نعمة الله عليكم ترى من بين أخضر وأحمر وأصفر وفي الرجال ما فيها، وكان يقول: إذا صَفَّ الناس للصلاة وصفوا للقتال، فتحت أبواب السماء وأبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وزين الحور العين واطلعن، فإذا أقبل الرجل قلن: اللّهم انصره، وإذا أدبر احتجبن منه وقلن: اللّهم اغفر له...(٣).

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢٥٥/١٤)، وأبو داود واللفظ له (٥٠٩٤)، والنسائي (٥٤٨٦)، وابن ماجه (٣٨٨٤)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢٤٤٢).

(٢) رواه الإمام مالك (١٥٥)، وأبو داود (٢٥٤٠)، والدارمي (١٢٠٠)، والطبراني (٥٧٧٤)، وابن حبان (١٧٢٠)، والبيهقي (١٧٩٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٦١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٥٨٧).

(٣) سبق تخريجه (ص٢٠).

۞ (الذكر الرابع) ترطيب اللسان بأحب الكلام إلى الله تعالى (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر)

فعن النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ مِنْ جلالِ اللَّهِ مِنْ تَسْبِيحِهِ وَتَحْمِيدِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَهْلِيلِهِ، يَتَعَاطَفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ، يُذَكِّرُونَ بِصَاحِبِهِنَّ، أَلَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ لا يَزَالَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ شَيْءٌ يُذَكِّرُ بِهِ»[1].

وفي رواية له ﵁ عند ابن ماجه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِمَّا تَذْكُرُونَ مِنْ جلالِ اللَّهِ؛ التَّسْبِيحَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّحْمِيدَ، يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ، لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ تُذَكِّرُ بِصَاحِبِهَا، أَمَا يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَوْ لا يَزَالَ لَهُ مَنْ يُذَكِّرُ بِهِ».

ومتى ما وصلت هذه التسبيحات إلى العرش بهذه السرعة دل على أن أبواب السماء فتحت لها.

⇦ فضائل أخرى لهذه الكلمات:

فرطب لسانك بهذه الكلمات الأربع العظيمة تنل بها الثواب الجزيل ففيها فضائل جمة والتي منها:

أولا: أنها أحب الكلام إلى الله تعالى بعد القرآن الكريم:

فعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ ﵁ أن النبي ﷺ قال: «أَحَبُّ الكَلامِ إِلَى اللَّهِ أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، لا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ... الحديث»[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد واللفظ له -الفتح الرباني- (١٤/٢٢٤)، وابن ماجه (٣٨٠٩)، والحاكم (١٨٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٥٦٨).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٣/١٦١)، ومسلم (٢١٣٧)، وابن حبان (٨٣٥)، والطبراني (٦٧٩١)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٦٧٨)، والبيهقي (١٩٠٩٣).

ثانيا: أنها تحتُّ الخطايا من صحيفتك:

روى أَنَسٌ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ غُصْنًا فَنَفَضَهُ فَلَمْ يَنْتَفِضْ، ثُمَّ نَفَضَهُ فَلَمْ يَنْتَفِضْ، ثُمَّ نَفَضَهُ فَانْتَفَضَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، تَنْفُضُ الْخَطَايَا كَمَا تَنْفُضُ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا»(١).

وروى أبو سعيد وأبو هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تعالى اصْطَفَى مِنَ الْكَلامِ أَرْبَعًا؛ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، فَمَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ؛ كُتِبَ لَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً وَحُطَّتْ عَنْهُ عِشْرُونَ سَيِّئَةً، وَمَنْ قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ؛ مِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ؛ مِثْلُ ذَلِكَ، وَمَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ؛ كُتِبَتْ لَهُ ثَلاثُونَ حَسَنَةً وحُطَّتْ عَنْهُ بِهَا ثَلاثُونَ سَيِّئَةً»(٢).

ولذلك رغبنا النبي ﷺ على قولها حين نأوي إلى فراشنا لتغفر ذنوبنا، حيث روى أبو هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ: لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلا بِاللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ أَوْ خَطَايَاهُ، -شَكَّ مِسْعَرٌ- وَإِنْ كَانَ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ»(٣)، ومِسْعَرٌ أحد رواة الحديث.

---

(١) رواه الإمام أحمد -المسند- (١٢١٢٥)، والترمذي (٣٥٣٣)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٣٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٠٨٩).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٤/ ٢٢٠)، والحاكم (١٨٦٦)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٦٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧١٨).

(٣) رواه ابن حبان (٥٥٢٨)، وصححه الألباني في التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان (٥٥٠٣).

ومن فضل هذا الدعاء أن من قاله بعد استيقاظه في الليل يستجاب دعاؤه وتقبل صلاته، فقد روى عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ -أي استيقظ فتمطى وأنَّ- فَقَالَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، أَوْ دَعَا، اسْتُجِيبَ لَهُ، فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلاتُهُ»[١].

ثالثا: أنها تثقل ميزان حسناتك:

فعن ثوبان رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «بخٍ بخٍ لخمس ما أثقلهن في الميزان: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، والولد الصالح يُتوفى للمرء المسلم فيحتسبه»[٢].

رابعا: أنها الوسيلة التي يمكن بها الإكثار من غراس شجرك في الجنة:

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الْمَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا؛ سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»[٣].

---

(١) سبق تخريجه (ص٢٥).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٩/ ١٩٥)، والنسائي في السنن الكبرى (٩٩٩٥)، والحاكم (١٨٨٥)، والطبراني في الكبير (٨٧٣)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٥٥٧).

(٣) رواه الترمذي واللفظ له (٣٤٦٢)، والطبراني في الكبير (١٠٣٦٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥١٥٢).

وروى أبو هريرة ﷺ أن النبي ﷺ مَرَّ بِهِ وَهُوَ يَغرِسُ غَرْسًا فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ مَا الَّذِي تَغْرِسُ؟» قُلْتُ: غِرَاسًا لِي، قَالَ: «أَلا أَدُلُّكَ عَلَى غِرَاسٍ خَيْرٍ لَكَ مِنْ هَذَا؟» قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، يُغْرَسْ لَكَ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ شَجَرَةٌ فِي الجَنَّةِ»(١)، فأكثر من مزروعاتك وحدائقك في الجنة، ولا تدع الوقت يضيع عليك فيما لا ينفعك.

خامسا: أنها تقي قائلها من النار:

فعن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «خذوا جنتكم من النار، قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، فإنهن يأتين يوم القيامة مقدمات، ومعقبات، ومجنبات، وهن الباقيات الصالحات»(٢).

سادسا: أن النبي ﷺ أمرنا أن نقولها دبر كل فريضة خمسا وعشرين مرة:

لقد حثنا النبي ﷺ أن نسبح الله تعالى ونحمده ونكبره دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين مرة، حيث روى أبو هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قال: «مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ تَمَامَ المِائَةِ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ»(٣).

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٨٠٧)، والحاكم (١٨٨٧)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره (١٥٤٩).

(٢) رواه الحاكم (١٩٨٥)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٦٨٤)، والطبراني في الصغير (٤٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢١٤).

(٣) رواه الإمام مالك (٤٩٠)، وأحمد -الفتح الرباني- (٤/٥٧)، ومسلم واللفظ له (٥٩٧)، وأبو داود (١٥٠٤)، والدارمي (١٣٥٣)، وابن حبان (٢٠١٦)، والنسائي في السنن الكبرى (٢٨٤٨).

وفي مرة أخرى حثنا ﷺ أن نجعل التسبيح والتحميد ثلاثا وثلاثين مرة ونجعل التكبير أربعا وثلاثين مرة، حيث روى كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ رضي الله عنه أن رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مُعَقِّبَاتٌ لا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ أَوْ فَاعِلُهُنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ، ثَلاثٌ وَثَلاثُونَ تَسْبِيحَةً، وَثَلاثٌ وَثَلاثُونَ تَحْمِيدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلاثُونَ تَكْبِيرَةً»[1].

ثم حثنا ﷺ أن نقول تلك التسبيحات خمسا وعشرين مرة ونجعل فيها التهليل، حيث روى زيد بْنُ ثَابِتٍ رضي الله عنه قَالَ: أُمِرُوا أَنْ يُسَبِّحُوا دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَيَحْمَدُوا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَيُكَبِّرُوا أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ، فَأُتِيَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فِي مَنَامِهِ فَقِيلَ لَهُ: أَمَرَكُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ تُسَبِّحُوا دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ وَتَحْمَدُوا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ وَتُكَبِّرُوا أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَاجْعَلُوهَا خَمْسًا وَعِشْرِينَ وَاجْعَلُوا فِيهَا التَّهْلِيلَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «اجْعَلُوهَا كَذَلِكَ»[2].

قال السندي رحمه الله تعالى: قوله فقال: «اجْعَلُوهَا كَذَلِكَ»، هَذَا يَقْتَضِي أَنَّهُ الأولى لَكِنَّ العَمَل عَلَى الأَوَّل لِشُهْرَةِ أَحَادِيثه وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَم. اهـ[3].

وقال محمد الإتيوبي الولَّوي معلقا على قول السندي رحمه الله تعالى: قوله: «لكن العمل إلخ»، إن أراد عمل كثير من الناس فمُسلّم، ولكن لا قيمة له، وإن أراد العمل بالسُنة، ففيه نظر؛ لأن الحديث صحيح، فلا ينبغي الاقتصار على الأحاديث الأخرى، بل يعمل بهذا أيضا أحيانا فيجعلها كلها خمسا وعشرين، ويزيد التهليل

---

(١) رواه الإمام مسلم واللفظ له (٥٩٦)، والترمذي (٣٤١٢)، والنسائي (١٣٤٩)، وابن حبان (٢٠١٩)، والطبراني في الكبير (٢٦٢)،

(٢) رواه الإمام أحمد -المسند- (٢١١٥٠)، والنسائي واللفظ له (١٣٥٠)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠١).

(٣) شرح سنن النسائي للسندي (٣/٨٥ ح ١٣٥٠).

كذلك والله تعالى أعلم. اهـ[١].

أقول: ويحتمل أن الذكر الأخير هو الأولى كما قال السندي رحمه الله تعالى؛ ولما فيه من تكرار قول: «لا إله إلا الله» خمسا وعشرين مرة، وهي أفضل الحسنات كما جاء في حديث أبي ذر رضي الله عنه قال: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي، قَالَ: «إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنَ الحَسَنَاتِ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ؟ قَالَ: «هِيَ أَفْضَلُ الحَسَنَاتِ»[٢].

سابعا: أننا أُمرنا أن نكثر منها دون غيرها في عشر ذي الحجة.

ذكر النبي ﷺ بأن أفضل الأعمال الصالحة عند الله ﷻ تلك التي يعملها العبد في عشر ذي الحجة؛ وأن ثوابها سيزيد على ثواب الجهاد، ثم بين ﷺ بأن أفضل تلك الأعمال المرغوب الإكثار منها هي التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير، فتأمل.

فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ أَيَّامٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللَّهِ وَلا أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ العَمَلِ فِيهِنَّ مِنْ هَذِهِ الأَيَّامِ العَشْرِ، فَأَكْثِرُوا فِيهِنَّ مِنَ التَّهْلِيلِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّحْمِيدِ»، وفي رواية الطبراني أن النبي ﷺ قال: «ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إلى الله العمل فيهن من أيام العشر، فأكثروا فيهن من التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير»[٣].

---

(١) شرح سنن النسائي - المسمى ذخيرة العقبى في شرح المجتبى - للإتيوبي الولّوي (١٥/٤٠٥ ح ١٣٥٠).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٤/٢٠٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣١٦٢).

(٣) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٦/١٦٦)، والطبراني في الكبير واللفظ له (١١١١٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢٤٨).

ثامنا: أن دعاءً من أدعية الاستفتاح يقوم عليها:

فقد روى عَاصِمُ بْنُ حُمَيْدٍ رَحِمَهُ اللهُ تعالى قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ بِمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَفْتِحُ قِيَامَ اللَّيْلِ، قَالَتْ: لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ قَبْلَكَ، كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكَبِّرُ عَشْرًا، وَيَحْمَدُ عَشْرًا، وَيُسَبِّحُ عَشْرًا، وَيُهَلِّلُ عَشْرًا، وَيَسْتَغْفِرُ عَشْرًا، وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي، وَعَافِنِي، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ضِيقِ الْمَقَامِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[1].

تاسعا: أن صلاة التسبيح تقوم على هذه الكلمات:

فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال للعباس بن عبد المطلب: «يَا عَبَّاسُ يَا عَمَّاهُ، أَلا أُعْطِيكَ؟ أَلا أَمْنَحُكَ؟ أَلا أَحْبُوكَ؟ أَلا أَفْعَلُ بِكَ عَشْرَ خِصَالٍ؟ إِذَا أَنْتَ فَعَلْتَ ذَلِكَ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ ذَنْبَكَ؛ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، قَدِيمَهُ وَحَدِيثَهُ، خَطَأَهُ وَعَمْدَهُ، صَغِيرَهُ وَكَبِيرَهُ، سِرَّهُ وَعَلانِيَتَهُ، عَشْرَ خِصَالٍ أَنْ تُصَلِّيَ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ تَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ فَاتِحَةَ الْكِتَابِ وَسُورَةً، فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ الْقِرَاءَةِ فِي أَوَّلِ رَكْعَةٍ وَأَنْتَ قَائِمٌ قُلْتَ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً، ثُمَّ تَرْكَعُ فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ رَاكِعٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ الرُّكُوعِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَهْوِي سَاجِدًا فَتَقُولُهَا وَأَنْتَ سَاجِدٌ عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ مِنَ السُّجُودِ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَسْجُدُ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، ثُمَّ تَرْفَعُ رَأْسَكَ فَتَقُولُهَا عَشْرًا، فَذَلِكَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، تَفْعَلُ ذَلِكَ فِي أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ، إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُصَلِّيَهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّةً فَافْعَلْ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ شَهْرٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَفِي عُمُرِكَ مَرَّةً»[2].

---

(١) سبق تخريجه (ص٤٥).

(٢) رواه أبو داود واللفظ له (١٢٩٧)، وابن ماجه (١٣٨٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٣٧).

عاشرا: أنها تجزئ عن قراءة الفاتحة في الصلاة لمن لا يعرف القرآن، وقراءة الفاتحة ركن من أركان الصلاة.

فعَنْ عبد الله بْنِ أَبِي أَوْفَى ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لا أَسْتَطِيعُ أَخذَ شَيْءٍ مِنْ القُرْآنِ، فَعَلِّمْنِي مَا يُجْزِئُنِي، قَالَ: «قُلْ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ»[1].

الحادي عشر: أن النبي ﷺ حث الناس عموما وكبار السن خصوصا على إعمار أوقات فراغهم بها:

عن أُمِّ هَانِئٍ بنتِ أبي طَالِبٍ ﷺ قالت: مَرَّ بِي رسول اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فقلت: يا رَسُولَ اللَّهِ، إني قد كَبِرْتُ، فَمُرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ وأنا جَالِسَةٌ فقال: «سَبِّحِي اللَّهَ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ مِائَةَ رَقَبَةٍ من وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاحْمَدِي اللَّهَ مِائَةَ تَحْمِيدَةٍ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ مِائَةَ فَرَسٍ مُسْرَجَةٍ مُلْجَمَةٍ، تَحْمِلِينَ عليها في سَبِيلِ اللَّهِ، وكبرى اللَّهَ مِائَةَ تَكْبِيرَةٍ، فَإِنَّهَا تَعْدِلُ مِائَةَ بَدَنَةٍ مُتَقَبَّلَةٍ، وَهَلِّلِي اللَّهَ مِائَةَ تَهْلِيلَةٍ، فَإِنَّهَا تَمْلأُ ما بين السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَلا يُرْفَعُ لأَحَدٍ عَمَلٌ أَفْضَلُ منها، إلا أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِ ما أَتَيْتِ»[2].

وعن عبد الله بن شداد رحمه الله تعالى عن طلحة بن عبيد الله ﷺ قال: جاء ثلاثة رهط من بني عُذْرَةَ إلى النبي ﷺ فأسلموا فقال النبي ﷺ: «من يكفيني هؤلاء؟» فقال طلحة: أنا، قال: فكانوا عندي، قال: فضرب على الناس بعث -أي أرسل

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢١٩/١٤)، وأبو داود (٨٣٢)، والنسائي (٩٢٤)، وحسنه الألباني في صحيح النسائي (٨٨٥).

(٢) رواه الإمام أحمد-الفتح الرباني- (٢١٧/١٤)، وابن ماجه (٣٨١٠)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٦٨٠)، والحاكم (١٨٩٣)، والطبراني في الكبير واللفظ له (١٠٠٨)، وابن أبي الدنيا، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٥٥٣).

النبي ﷺ سرية- فخرج فيه أحدهم فاستشهد، ثم مكثوا ما شاء الله، ثم ضرب آخر، فخرج فيه الثاني فاستشهد، قال: وبقي الثالث حتى مات على فراشه، قال طلحة: فرأيت في النوم كأني أدخلت الجنة فرأيتهم أعرفهم بأنسابهم وسيماهم، قال: فإذا الذي مات على فراشه دخل أولهم، وإذا الثاني من المستشهدين على إثره، وإذا أولهم آخرهم، قال: فدخلني من ذلك، فأتيت النبي ﷺ فذكرت ذلك له، فقال رسول الله ﷺ: «**ليس أحد أفضل عند الله ﷻ من مؤمن يعمر في الإسلام؛ لتكبيره، وتحميده، وتسبيحه، وتهليله**»[1].

فأعمر وقتك -يا رعاك الله- بهذه الكلمات الطيبة، فليس أحد أكثر ثوابا عند الله ﷻ من مؤمن يشغل وقت فراغه بها.

الثاني عشر: أنها بديل لمن تقاعس عن قيام الليل والتصدق والجهاد في سبيل الله ﷻ.

فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إن الله قسم بينكم أخلاقكم، كما قسم بينكم أرزاقكم، وإن الله تعالى يعطي المال من أحب ومن لا يحب، ولا يعطي الإيمان إلا من يحب، فمن ضن بالمال أن ينفقه، وخاف العدو أن يجاهده، وهاب الليل أن يكابده، فليكثر من قول: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والحمد لله، والله أكبر)[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد -المسند- (١٤٠٤)، وعبد بن حميد واللفظ له (١٠٤)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٦٧٤) وابن أبي شيبة في مصنفه (٣٤٤٢٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٣٦٧).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٧٥)، وقال الألباني في صحيح الأدب المفرد: صحيح موقوفٌ في حكم المرفوع (٢٠٩)، وصححه في السلسلة الصحيحة (٢٧١٤).

وروى أبو أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من هاله الليل أن يكابده، أو بخل بالمال أن ينفقه، أو جبن عن العدو أن يقاتله، فليكثر من سبحان الله وبحمده، فإنها أحب إلى الله من جبل ذهب ينفقه في سبيل الله عز وجل»[١].

فمن تأمل فضائل تلك الكلمات الأربع وكيف أجزل الله تعالى مثوبة من رطب لسانه بها، لا يستغرب أن يكنَّ أحب الكلام إلى الله تعالى، وأن أبواب السماء تفتح لها، كما لا يستغرب من حب رسول الله ﷺ لها، فهل نحبها كحبه ﷺ؟ فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»[٢].

❁ (الذكر الخامس) قول دعاء مخصوص عقب الوضوء

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من توضأ فقال: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، كتب في رق ثم جعل في طابع فلم يكسر إلى يوم القيامة»، وفي رواية زاد في آخره: «ختم عليها بخاتم فوضعت تحت العرش، فلم تكسر إلى يوم القيامة»[٣].

ومتى ما وصل هذا الدعاء إلى العرش، دل على أن أبواب السماء فتحت له، فاجعل أجمل هواية لك جمع هذه الرقاق كل يوم، فهي خير من جمع الطوابع وما شاكلها من هوايات.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٧٧٩٥)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره (١٥٤١).

(٢) رواه الإمام مسلم (٢٦٩٥)، والترمذي (٣٥٩٧)، وابن حبان (٨٣٤)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٦٧١).

(٣) رواه النسائي في السنن الكبرى (٩٩٠٩) والحاكم (٢٠٧٢)، وعبد الرزاق في مصنفه (٦٠٢٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٧٠).

ومن فضائل هذا الدعاء أن من قاله في ختام المجلس كُفر عنه ما كان في ذلك المجلس من لغو، حيث روى أبو برزة الأسلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان يقول بآخره إذا أراد أن يقوم من المجلس: «سبحانك اللّهم وبحمدك، أشهد أنْ لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك»، فقال رجل: يا رسول الله، إنك تقول قولا ما كنتَ تقوله فيما مضى؟ قال: «كفّارةٌ لما يكون في المجلس»[1].

وهناك دعاء آخر يشرع قوله بعد الفراغ من الوضوء تفتح لقائله أبواب الجنة الثمانية يوم القيامة ليدخل من أيها شاء تعظيما وتشريفا له، حيث روى عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ المُتَطَهِّرِينَ، فُتِحَتْ لَهُ ثَمَانِيَةُ أَبْوَابِ الجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ»[2].

۞ (الذكر السادس) قول: لا إله إلا الله مخلصا إذا اجتنبت الكبائر

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَا قَالَ عَبْدٌ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ قَطُّ مُخْلِصًا إلا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ حَتَّى تُفْضِيَ إِلَى العَرْشِ؛ مَا اجْتَنَبَ الكَبَائِرَ»[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٦٩/١٩)، والترمذي (٣٤٣٣)، وأبو داود (٤٨٥٩)، والحاكم (٥٣٧/١)، والدارمي (٢٦٥٨)، والطبراني (٤٤٤٥)، وصححه الأرناؤوط في جامع الأصول (٢٧٨/٤)، والألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٥١٧).

(٢) رواه الترمذي واللفظ له (٥٥)، والنسائي (١٤٨)، وابن ماجه (٤٧٠)، وابن حبان (١٠٥٠)، وابن خزيمة (٢٢٢)، والحاكم (٣٥٠٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦١٦٧).

(٣) رواه الترمذي واللفظ له (٣٥٩٠)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٦٦٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٤٨).

فأكثر من قول هذه الكلمة العظيمة دون كلل أو رياء، فهي أفضل الحسنات عند الله تعالى، فقد سأل أبو ذر الغفاري رضي الله عنه رسول الله ﷺ فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَوْصِنِي، قَالَ: «إِذَا عَمِلْتَ سَيِّئَةً فَأَتْبِعْهَا حَسَنَةً تَمْحُهَا»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمِنَ الحَسَنَاتِ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ؟ قَالَ: «هِيَ أَفْضَلُ الحَسَنَاتِ»[1].

ولكن ليس كل من قال الشهادة ستفتح له أبواب السماء - والعلم عند الله - لأن هناك شرطًا مهمًا في آخر الحديث وهو اجتناب الكبائر.

فمن الضروري لكي لا تخسر هذا الثواب العظيم اجتناب كبائر الذنوب، فهل تعرف ما الكبائر وما خطرها على المسلم في الآخرة؟

لقد وعد تبارك وتعالى أن يكفر ذنوب عباده بشرط اجتنابهم للكبائر، فقال تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء: ٣١]، فمن لم يجتنب الكبائر فهو على خطر عظيم؛ ولذلك من الضروري التعرف على كبائر الذنوب لاجتنابها، فهل من مبادرة إلى ذلك؟

إننا نرى العديد من الناس يشتري الجريدة كل يوم يقرؤها، ويضع في بيته الديكورات والإكسسوارات التي تكلفه عشرات الآلاف، ولكن لا يكلف نفسه شراء كتاب يشرح ويفصل أنواع الكبائر ليتجنبها وينقذ نفسه وأهله من النار[2].

---

(١) سبق تخريجه (ص٥٦).

(٢) ينصح بقراءة كتاب جامع المهلكات من الكبائر والمحرمات، تأليف عرفان الدمشقي، دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ.

❁ (الذكر السابع) قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير

فعن رجلين من الصحابة رضي الله عنهما جميعا عن النبي ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، مخلصا بها روحه وجه الله، مصدقا بها لسانه وقلبه، إلا فتقت له أبواب السماء فتقا، حتى ينظر الرب إلى قائلها من أهل الدنيا، وحق لعبد إذا نظر الله إليه أن يعطيه سؤله»[1].

فمن المعلوم أن من آداب الدعاء الثناء على الله ﷻ أولا ثم سؤال الحاجة، فطالما أن العبارة السابقة ستفتق لها أبواب السماء فتقا؛ فاحرص على قولها في مقدمة ثنائك على الله ﷻ عند دعائك؛ لأن رسول الله ﷺ وعد بأن ينظر الرب إلى قائلها وأن يعطيه سؤله، فأي فضل وأي كرم أعظم من هذا؟

⇦ فضائل أخرى لهذا الذكر:

هذا الذكر يختلف عن الذكر الذي يقال في يوم عرفة، إذ الأخير ليس فيه (يحيي ويميت).

ومن فضائل هذا الثناء الذي تفتق له أبواب السماء؛ أن النبي ﷺ حث على قوله في الصباح والمساء عشر مرات، وكان يقوله ثلاث مرات إذا صعد الصفا والمروة للسعي بينهما، وحث على تكريره وترطيب اللسان به، وإليك بعض الأحاديث الدالة على ذلك وثواب قائلها:

(١) فعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ

---

(١) رواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد وصححه، وصححه الألباني في كتاب العلم (صفحة ٦١)، وكتاب كلمة الإخلاص (صفحة ٦١).

عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ، كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ قَالَهَا، عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَحَطَّ اللَّهُ عَنْهُ بِهَا عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَكُنَّ لَهُ كَعَشْرِ رِقَابٍ، وَكُنَّ لَهُ مَسْلَحَةً مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَى آخِرِهِ، وَلَمْ يَعْمَلْ يَوْمَئِذٍ عَمَلًا يَقْهَرُهُنَّ، فَإِنْ قَالَ حِينَ يُمْسِي، فَمِثْلُ ذَلِكَ»[1].

(٢) وعَنْ عُمَارَةَ بْنِ شَبِيبٍ السَّبَئِي رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ عَلَى إِثْرِ المَغْرِبِ، بَعَثَ اللَّهُ مَسْلَحَةً يَحْفَظُونَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ حَتَّى يُصْبِحَ وَكَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ مُوجِبَاتٍ -أي للجنة- وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ مُوبِقَاتٍ - أي مهلكات - وَكَانَتْ لَهُ بِعَدْلِ عَشْرِ رِقَابٍ مُؤْمِنَاتٍ»[2].

(٣) وصف جَابِرٍ رضي الله عنه حَجة النبي ﷺ، وكان مما قال: فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ١٥٨]، «نَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ»، فَبَدَأَ بِالصَّفَا فَرَقِيَ عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى البَيْتَ، فَكَبَّرَ اللَّهَ وَوَحَّدَهُ وَقَالَ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ، ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ، وَقَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى المَرْوَةِ، حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ، رَمَلَ فِي بَطْنِ الوَادِي، حَتَّى إِذَا صَعَدَ مَشَى، حَتَّى أَتَى المَرْوَةَ فَصَنَعَ عَلَى المَرْوَةِ مِثْلَ مَا صَنَعَ عَلَى الصَّفَا[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٤/٢٣٤)، والطبراني (٣٨٨٣)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن صحيح (٦٦٠).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٣٤)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره (٤٧٣).

(٣) رواه الإمام أحمد -المسند- (١٤٠٣١)، ومسلم (١٢١٨)، وأبو داود واللفظ له (١٩٠٥)، والنسائي (٢٩٦١)، وابن ماجه (٣٠٧٤)، والدارمي (١٨٥٠).

(٤) وعَنْ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ «مَنْ قَالَ عَشْرَ مَرَّاتٍ: لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، كَانَتْ لَهُ عِدْلَ أَرْبَعِ رِقَابٍ مِنْ وَلَدِ إسماعيل»(١).

۞ (الذكر الثامن) تلاوة القرآن الكريم

يمكن أن تفتح أبواب السماء لتنزل عليك الملائكة بقراءتك لكتاب الله ﷻ فعن أبي سعيد الخدري ﵁ حدثه أن أُسَيْدَ بنَ حُضَيْرٍ بَيْنَمَا هُوَ لَيْلَةً يَقْرَأُ فِي مِرْبَدِهِ -المكان الذي فيه التمر- إِذْ جَالَتْ فَرَسُهُ -أي وثبت أو اضطربت- فَقَرَأَ ثُمَّ جَالَتْ أُخْرَى فقَرَأَ ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، قَالَ أُسَيْدٌ: فَخَشِيتُ أَنْ تَطَأَ يَحْيَى، فَقُمْتُ إِلَيْهَا، فَإِذَا مِثْلُ الظُّلَّةِ فَوْقَ رَأْسِي فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ عَرَجَتْ فِي الجَوِّ حَتَّى مَا أَرَاهَا، قَالَ: فَغَدَوْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ بَيْنَمَا أَنَا البَارِحَةَ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ أَقْرَأُ فِي مِرْبَدِي إِذْ جَالَتْ فَرَسِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ»، قَالَ: فَقَرَأْتُ ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ»، قَالَ: فَقَرَأْتُ ثُمَّ جَالَتْ أَيْضًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «اقْرَأِ ابْنَ حُضَيْرٍ»، قَالَ: فَانْصَرَفْتُ وَكَانَ يَحْيَى قَرِيبًا مِنْهَا، خَشِيتُ أَنْ تَطَأَهُ، فَرَأَيْتُ مِثْلَ الظُّلَّةِ فِيهَا أَمْثَالُ السُّرُجِ عَرَجَتْ فِي الجَوِّ، حَتَّى مَا أَرَاهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «تِلْكَ المَلائِكَةُ كَانَتْ تَسْتَمِعُ لَكَ، وَلَوْ قَرَأْتَ لأَصْبَحَتْ يَرَاهَا النَّاسُ مَا تَسْتَتِرُ مِنْهُمْ»(٢).

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٤/٢٣٤)، والترمذي (٣٥٥٣)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٨١٧).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٨/٢١)، والبخاري (باب نزول السكينة والملائكة عند قراءة القرآن)، ومسلم واللفظ له (٧٩٦)، والطبراني (٥٦٥)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٢٤٤).

وفي رواية عنه ﵁ أنه قال: يا رسول الله بينما أنا أقرأ الليلة سورة البقرة إذ سمعت وجبة من خلفي، فظننت أن فرسي انطلق، فقال رسول الله ﷺ: «اقرأ أبا عتيك»، فالتفت فإذا مثل المصباح مدلى بين السماء والأرض؛ ورسول الله ﷺ يقول: «اقرأ أبا عتيك»، فقال: يا رسول الله فما استطعت أن أمضي، فقال رسول الله ﷺ: «تلك الملائكة تنزلت لقراءة سورة البقرة، أما إنك لو مضيت لرأيت العجائب»[1]

۞ (الذكر التاسع) قول: «ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه» عند الرفع من الركوع

فعَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ ﵁ قَالَ: كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ»، قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ: «رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ»، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «مَنِ المُتَكَلِّمُ؟» قَالَ: أَنَا، قَالَ: «رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ»[2].

تفكر في هذا العدد من الملائكة من غير الحفظة، وحرصهم على كتابة هذا الذكر، والصعود به إلى السماء، مما يدل على عظم ثوابه عند الله تعالى.

ومع ذلك فبعض الناس لا يكمل هذا الذكر، وإنما يختصره قائلا: ربنا لك الحمد، فيضيع عليه هذا الثواب العظيم الذي لا يقدر بثمن.

---

(١) رواه ابن حبان (٧٧٩)، والحاكم (٢٠٣٥)، والطبراني في الأوسط (٨١١٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٤٦٤).

(٢) رواه الإمام مالك (٤٩١)، وأحمد -الفتح الرباني- (٣/٢٧٣)، والبخاري (٧٩٩)، والنسائي (١٠٦٢)، وأبو داود (٧٧٠)، وابن حبان (١٩١٠)، وابن خزيمة (٦١٤)، والحاكم (٨١٩).

۞ (الذكر العاشر) الأدعية المستجابة

إن فتح أبواب السماء يشير إلى أمرين اثنين: قبول عمل من فتحت له، وشرف ذلك العمل أو ذلك الزمان الذي فتحت فيه.

وهناك العديد من الأدعية التي أكد النبي ﷺ على إجابة قائلها، مما يشير إلى احتمال فتح أبواب السماء لها -وهذا هو المؤمل- فجدير بنا التعرف عليها والعمل بها؛ إن كنا نريد استجابة دعائنا ومنها:

(١) الدعاء عند نزول المطر:

يستحب الدعاء عند نزول المطر لتأكد استجابته، فقد روى مكحول الشامي رحمه الله تعالى أن النبي ﷺ قال: «اُطْلُبُوا استجَابَةَ الدُّعَاءِ عِنْدَ التِقَاءِ الجُيُوشِ، وَإِقَامَةِ الصَّلاةِ، وَنُزُولِ الغَيْثِ»[١].

وكل الأوقات المذكورة في هذا الحديث جاءت الأحاديث الصحيحة بأن أبواب السماء تفتح عندها، فيما عدا وقت نزول المطر، فلم أقف على حديث صحيح صرَّح بأن أبواب السماء تفتح عندها، وإنما يوجد بعض الأحاديث الضعيفة في ذلك، حيث رُويَ عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «تفتح أبواب السماء لخمس: لقراءة القرآن، وللقاء الزحفين، ولنزول القطر، ولدعوة المظلوم، وللأذان»[٢].

ويتأكد إجابة الدعاء إذا كان الدعاء تحت المطر لما رواه سهل بن سعد رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ثنتان ما تردان: الدعاء عند النداء وتحت المطر»[٣].

---

(١) سبق تخريجه (ص١٩).

(٢) رواه الطبراني في الأوسط (٣٦٢١)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٢٤٦٤).

(٣) سبق تخريجه (ص١٧).

أما قول الباري جل وعلا: ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾ [القمر: ١١]، فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية: لم تمطر السماء قبل ذلك اليوم ولا بعده إلا من السحاب؛ فُتحت أبواب السماء بالماء من غير سحاب ذلك اليوم، فالتقى الماآن على أمر قد قدر. اهـ[1]؛ ولذلك يمكن أن تلغز غيرك قائلا: ما المطر الذي نزل من السماء من غير سحاب؟

(٢) أدعية يستحب قولها بعد التشهد في الصلاة:

يستحب الدعاء بعد التشهد في الصلاة وقبل السلام؛ لأنه موطن طلب الحاجات، وقد جاءت بعض الأحاديث التي تحث على ذلك وتشير إلى إجابة من دعا ببعض الدعوات والتي منها:

(أ) ما رواه النسائي في باب الذكر بعد التشهد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاءت أم سليم إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله علمني كلمات أدعو بهن في صلاتي، قال: «سَبِّحِي اللَّهَ عَشْرًا، وَاحْمَدِيهِ عَشْرًا، وَكَبِّرِيهِ عَشْرًا، ثُمَّ سَلِيهِ حَاجَتَكِ يَقُلْ: نَعَمْ نَعَمْ»[2]، ومعنى قوله: «نَعَمْ نَعَمْ» أي أعطيك مطلوبك.

فهذه سنة مغفول عنها يجهلها كثير من الناس لا ينبغي التفريط فيها، وذكر السندي رحمه الله تعالى: بأن هذا الذكر يكون في نهاية التشهد؛ لأنه موطن الدعاء وسؤال الحاجات[3].

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/ ٤١).

(٢) رواه الترمذي (٤٨١)، والنسائي (١٢٩٩)، وابن خزيمة (٨٥٠)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢٨٤).

(٣) شرح سنن النسائي -المسمى ذخيرة العقبى في شرح المجتبى- للإتيوبي الولّوي (١٥/ ٢١٥ ح ١٢٩٩).

(ب) وما رواه مِحْجَنُ بْنُ الأَدْرَعِ الأسلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل المسجد، إذا رجل قد قضى صلاته وهو يتشهد فقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا أَللَّهُ، بِأَنَّكَ الوَاحِدُ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ»، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ غُفِرَ لَهُ» ثَلاثًا[1].

(٣) الدعاء في أدبار الصلوات المكتوبة:

فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: «جَوْفَ اللَّيْلِ الآخِرِ، وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَاتِ»[2].

ومعنى دبر الصلوات المكتوبات أي بعد صلاة الفريضة، وقيل: بعد التشهد، وأكَّد النووي رحمه الله تعالى على المعنى الأول مستدلا بالحديث السابق وأحاديث أخرى وقال: اتفق الشافعي والأصحاب وغيرهم رحمهم الله على أنه يُستحب ذكر الله تعالى بعد السلام، ويستحب ذلك للإمام والمأموم والمنفرد والرجل والمرأة والمسافر وغيره، ويستحب أن يدعو بعد السلام بالاتفاق. اهـ، وقال في موضع آخر: فرع قد ذكرنا استحباب الذكر والدعاء للإمام والمأموم والمنفرد وهو مستحب عقب كل الصلوات بلا خلاف. اهـ[3].

وعقد البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه بابًا في كتاب الدعوات سمّاه: الدعاء بعد الصلاة، وقال ابن حجر رحمه الله تعالى: وَأَخْرَجَ الطبري[4] مِنْ رِوَايَة جَعْفَر بْن مُحَمَّد

---

[1] رواه الإمام أحمد – الفتح الرباني– (٤/ ٣١)، وأبو داود (٩٨٥)، والنسائي (١٣٠١)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (١٢٣٤).

[2] رواه الترمذي واللفظ له (٣٤٩٩)، والنسائي في السنن الكبرى (٩٩٣٦)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره (١٦٤٨).

[3] المجموع شرح المهذب للشيرازي للإمام النووي (٣/ ٣٢٢-٣٢٥).

[4] بينما قال المباركفوري في تحفة الأحوذي: أخرج الطبراني من رواية جعفر بن محمد الصادق (٢/ ١٩٧ ح ٣٠٠).

الصَّادِق قَالَ: الدُّعَاء بَعْد المَكْتُوبَة أَفْضَل مِنَ الدُّعَاء بَعْد النَّافِلَة كَفَضْلِ المَكْتُوبَة عَلَى النَّافِلَة. اهـ[١].

فهذه سُنَّة فَرَّطَ فيها كثير من المصلين، خصوصا الذين يقومون بعد الصلاة مباشرة، أو الذين يكتفون بقول الأذكار المشروعة بعد الصلاة، وقد جاءت عدة أحاديث نبوية تدل على مشروعية الدعاء بعد الصلاة والتي منها:

(أ) ما رواه علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا سَلَّمَ مِنَ الصَّلاةِ قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ»[٢].

وجاءت رواية له رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول هذا الدعاء بين التشهد والتسليم حيث ذكر رضي الله عنه أن رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاةِ قَالَ: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا...»، وَإِذَا سَجَدَ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ سَجَدْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَلَكَ أَسْلَمْتُ، سَجَدَ وَجْهِي لِلَّذِي خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ، وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، تَبَارَكَ اللهُ أَحْسَنُ الخَالِقِينَ»، ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي أَنْتَ المُقَدِّمُ وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ»[٣]

---

(١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (١١/١٣٨ ح ٦٣٢٩).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٣/١٨٤)، والترمذي (٣٤٢٣)، وأبو داود واللفظ له (١٥٠٩)، وابن حبان (٢٠٢٥)، وابن خزيمة (٧٤٣)، والبيهقي في سننه(٢٨٤٢)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٣٣٦).

(٣) رواه الإمام مسلم واللفظ له (٧٧١)، والترمذي (٣٤٢١)، وابن حبان (١٩٦٦)، وابن خزيمة (٧٢٣).

وعلق النووي رحمه الله تعالى على هاتين الروايتين قائلا: ولا منافاة بين الروايتين فهما صحيحتان، وكان يقول الدعاء في الموضعين والله أعلم. اهـ [(١)].

(ب) وما روته أُمُّ سَلَمَةَ رضي الله عنها أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ إِذَا صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ يُسَلِّمُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا» [(٢)].

(ج) وما رواه أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْحُبُلِيُّ عَنِ الصُّنَابِحِيِّ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ وقال: «يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ، فَقَالَ: أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»، وَأَوْصَى بِذَلِكَ مُعَاذٌ الصُّنَابِحِيَّ، وَأَوْصَى بِهِ الصُّنَابِحِيُّ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ [(٣)].

وفي رواية عن مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ رضي الله عنه قَالَ: أَخَذَ بِيَدِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «إِنِّي لأُحِبُّكَ يَا مُعَاذُ»، فَقُلْتُ: وَأَنَا أُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «فَلا تَدَعْ أَنْ تَقُولَ فِي كُلِّ صَلاةٍ، رَبِّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ» [(٤)].

ورأى ابن عثيمين رحمه الله تعالى الدعاء دبر الصلوات المكتوبة أنه قبل السلام، مفرقا بين الذكر والدعاء دبر الصلاة فقال: ما ورد من الدعاء مقيدا بدبر فهو قبل السلام، وما ورد من الذكر مقيدا بدبر فهو بعد الصلاة لقوله تعالى ﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَوٰةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء: ١٠٣]. اهـ [(٥)].

---

(١) المجموع شرح المهذب للشيرازي للإمام النووي (٣/ ٣٢٤).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٤/ ٥٥)، وابن ماجه واللفظ له (٩٢٥)، والنسائي في السنن الكبرى (٩٩٣٠)، وأبو يعلى (٦٩٣٠)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (٧٥٣).

(٣) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٤/ ٥٤)، وأبو داود واللفظ له (١٥٢٢)، وابن حبان (٢٠٢٠)، والحاكم (١٠١٠)، وابن خزيمة (٧٥١)، والطبراني (١١٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٩٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٩٦٩).

(٤) رواه النسائي واللفظ له (١٣٠٣)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (١٢٣٦).

(٥) ذكره محمد بن إبراهيم الحمد في كتاب الدعاء- مفهومه- أحكامه- أخطاء تقع فيه، (ص٥٤).

(٤) سؤال الله تعالى باسمه الأعظم:

(أ) ما رواه أَنَس بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ جَالِسًا، يَعْنِي وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ وَتَشَهَّدَ، دَعَا فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ، بِأَنَّ لَكَ الحَمْدَ، لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، المَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ»، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لأَصْحَابِهِ: «تَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ العَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»[١].

(ب) وما رواه بُرَيْدَةُ الأَسْلَمِيُّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يَدْعُو وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ»، قَالَ: فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ سَأَلَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»[٢].

(٥) سؤال الله تعالى بخالص أعمالك:

من الوسائل لإجابة الدعاء؛ التوسل إلى الله تعالى بصالح عملك وأخلصه، وقصة أصحاب الغار ليس عنا ببعيد، فهي أفضل ما يوضح ذلك.

فقد روى ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «خَرَجَ ثَلاثَةُ نَفَرٍ يَمْشُونَ، فَأَصَابَهُمُ المَطَرُ، فَدَخَلُوا فِي غَارٍ فِي جَبَلٍ، فَانْحَطَّتْ عَلَيْهِمْ صَخْرَةٌ، قَالَ: فَقَالَ بَعْضُهُمْ

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٤/٢٧٩)، أبو داود (١٤٩٥)، والنسائي واللفظ له (١٣٠٠)، وصححه الألباني في صحيح النسائي (١٢٣٣).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٤/٢٧٩)، والترمذي واللفظ له (٣٤٧٥)، وأبو داود (١٤٩٣)، وابن ماجه (٣٨٥٧)، وابن حبان (٨٩١)، والحاكم (١٨٥٩)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٦٤٠).

لِبَعْضٍ: ادعُوا اللَّهَ بِأَفْضَلِ عَمَلٍ عَمِلْتُمُوهُ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: اللَّهُمَّ إِنِّي كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَرْعَى، ثُمَّ أَجِيءُ فَأَحْلُبُ فَأَجِيءُ بِالحِلابِ، فَآتِي بِهِ أَبَوَيَّ فَيَشْرَبَانِ، ثُمَّ أَسْقِي الصِّبْيَةَ وَأَهْلِي وَامْرَأَتِي، فَاحْتَبَسْتُ لَيْلَةً فَجِئْتُ فَإِذَا هُمَا نَائِمَانِ، قَالَ: فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَالصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ عِنْدَ رِجْلَيَّ، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ دَأْبِي وَدَأْبَهُمَا حَتَّى طَلَعَ الفَجْرُ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً نَرَى مِنْهَا السَّمَاءَ، قَالَ: فَفُرِجَ عَنْهُمْ، وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ عَمِّي كَأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرَّجُلُ النِّسَاءَ، فَقَالَتْ: لا تَنَالُ ذَلِكَ مِنْهَا حَتَّى تُعْطِيَهَا مِائَةَ دِينَارٍ فَسَعَيْتُ فِيهَا حَتَّى جَمَعْتُهَا، فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا قَالَتْ: اتَّقِ اللَّهَ وَلا تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ، فَقُمْتُ وَتَرَكْتُهَا، فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا فُرْجَةً، قَالَ: فَفَرَجَ عَنْهُمُ الثُّلُثَيْنِ، وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي اسْتَأْجَرْتُ أَجِيرًا بِفَرَقٍ -مكيال يسع ثلاثة آصع- مِنْ ذُرَةٍ، فَأَعْطَيْتُهُ وَأَبَى ذَاكَ أَنْ يَأْخُذَ، فَعَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ، حَتَّى اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَرَاعِيهَا، ثُمَّ جَاءَ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَعْطِنِي حَقِّي، فَقُلْتُ: انْطَلِقْ إِلَى تِلْكَ البَقَرِ وَرَاعِيهَا فَإِنَّهَا لَكَ، فَقَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ بِي قَالَ: فَقُلْتُ: مَا أَسْتَهْزِئُ بِكَ وَلَكِنَّهَا لَكَ، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا، فَكُشِفَ عَنْهُمْ»[1].

إن الإخلاص في العمل منجاة للعبد في الدنيا والآخرة، وهذا الحديث يحثنا على إخفاء أعمالنا الصالحة، فإنه أحرى بقبولها، ويمكن التوسل بها عند سؤال الله ﷻ، قال الزبير بن العوام ﵁: من استطاع منكم أن يكون له خبء من عمل صالح فليفعل[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢٠/١٥٢)، والبخاري واللفظ له (٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣)، وأبو داود (٣٣٨٧).

(٢) رواه الضياء المقدسي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠١٨).

تفكر في نفسك قليلا، لو أنك وقعت في شدة وليس معك من يساعدك، فما الأعمال الصالحة والخالصة التي ستدعو الله تعالى بها؟ وهل لديك رصيد كاف منها؟ فأخلص عملك لله تعالى واحرص على إخفائه، قال سلمة بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: اكتم حسناتك أشد مما تكتم سيئاتك(١).

لقد رغب ربنا جل وعلا في إظهار بعض أعمالنا الصالحة؛ لنكون قدوة لغيرنا، ولكنه عظَّم في المقابل أجر من أخفى عمله، حيث قال تعالى: ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٧١].

(٦) دعوة المسلم لأخيه بظهر الغيب:

فعَنْ صَفْوَانَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى، وَكَانَتْ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ قَالَ: قَدِمْتُ الشَّامَ، فَأَتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِي مَنْزِلِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ، وَوَجَدْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ فَقَالَتْ: أَتُرِيدُ الحَجَّ العَامَ؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ، قَالَتْ: فَادْعُ اللَّهَ لَنَا بِخَيْرٍ فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْلِمِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ؛ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ، كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ»(٢).

قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: وكان بعض السلف إذا أراد أن يدعو لنفسه؛ يدعو لأخيه بتلك الدعوة؛ لأنها تستجاب ويحصل له مثلها. اهـ(٣).

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٦٨٩٩)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٣/ ٢٤٠).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٤/ ٢٧٤)، ومسلم واللفظ له (٢٧٣٣)، وأبو داود (١٥٣٤)، وابن ماجه (٢٨٩٥)، والبيهقي في سننه (٦٢٢٤)، والطبراني (٦٥١)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٢٥).

(٣) شرح الطيبي على مشكاة المصابيح - المسمى الكاشف عن حقائق السنن- (٤/ ٣٦٩ ح ٢٢٢٨).

(٧) دعوة المسافر ودعوة الوالد لولده:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ثَلاثُ دَعَوَاتٍ يُسْتَجَابُ لَهُنَّ لا شَكَّ فِيهِنَّ، دَعْوَةُ المَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الوَالِدِ لِوَلَدِهِ»، وفي رواية للترمذي: «وَدَعْوَةُ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ»[١].

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر»[٢].

وفيه تنبيه وتحذير للأبناء على أهمية إرضاء الوالد وبره غاية البر وعدم إغضابه البتة خشية دعائه عليهم.

قال ابن علان رحمه الله تعالى في قوله ﷺ: «والوالد على ولده» أي إن كان الولد ظالما لأبيه عاقا له بأن فعل معه ما يتأذى منه تأذيا ليس بالهين، فهو داخل في المظلوم، وأُفرد اهتماما به واعتناءً بشأنه. اهـ[٣].

وقال المناوي رحمه الله تعالى: وأخذ من هذا الخبر وما أشبهه أن الأب أولى بالصلاة على جنازة ولده. اهـ[٤].

(٨) الدعاء بدعوات المكروب:

هناك العديد من أدعية الكرب التي أخبر بها النبي ﷺ وحث على ترديدها كلما ألمت بالمسلم ضائقة أو مصيبة، ومنها:

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٩/٢٨٥)، والترمذي (١٩٠٥)، وابن ماجه واللفظ له (٣٨٦٢)، والبخاري في الأدب المفرد (٤٨١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٣٣).

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٦١٨٥)، وابن مردويه، والضياء المقدسي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٣٢).

(٣) الفتوحات الربانية على الأذكار النووية، لمحمد بن علان الصديقي (٥/١٣٧).

(٤) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٣/٣٠١ ح ٣٤٥٦).

(أ) ما رواه سعد بن أبي وقاص ﷺ أن النبي ﷺ قال: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ، إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: «لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ»، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ، إِلاَّ اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ»(١).

(ب) وما رواه ابن عباس ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الكَرْبِ: «لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ، لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَرَبُّ الأَرْضِ وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ»(٢).

قال ابن علان رحمه الله تعالى: قال الطبري: كان السلف يدعون بهذا الدعاء ويسمونه دعاء الكرب، فإن قيل كيف يسمى هذا دعاء وليس فيه من معنى الدعاء شيء، وإنما هو تعظيم لله وثناء عليه؟ فالجواب أن هذا يسمى دعاء لوجهين:

أحدهما أنه يستفتح به الدعاء ومن بعده يدعو بما شاء، قلت: وقد جاء هذا مصرحا به في بعض الطرق أخرجه أبو عوانة.

وثانيهما قول ابن عيينة: وقد سُئل عن هذا فقال: أما علمت أن الله تعالى يقول: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل مما أُعطي السائلين؟

وقد قال أمية بن أبي الصلت:

إذا أثنى عليك المرء يوما ** كفاه من تعرضه الثناء(٣)

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢٧٨/١٤)، والترمذي واللفظ له (٣٥٠٥)، والحاكم (١٨٦٢)، والنسائي في سننه (١٠٤٩٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٨٣).

(٢) رواه الإمام أحمد -المسند- (٢٠١٣)، والبخاري واللفظ له (٦٣٤٦)، ومسلم (٢٧٣٠)، والترمذي (٣٤٣٥)، وابن ماجه (٣٨٨٣).

(٣) الفتوحات الربانية على الأذكار النووية، لمحمد بن علان الصديقي (٣/٤).

(ج) وما رواه أبو بكرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: «دَعَوَاتُ المَكْرُوبِ اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ»[1].

(د) وما رواه أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»[2].

كما جاء عنه ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة: «ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به؛ أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين»[3].

(هـ) وما روته أَسْمَاءُ بنتُ عُمَيْسٍ ﷺ قَالَتْ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ عِنْدَ الكَرْبِ: «اللَّهُ، اللَّهُ رَبِّي لا أُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا»[4].

(٩) دعاء المضطر:

لقد وعد الرب جل وعلا أن يجيب دعوة المضطرين مهما كانت دياناتهم أو مذاهبهم، وبأي صيغة نطقوا بها، لأنها دعوة خرجت من عبد اعترف أن له ربا يلجأ إليه، وصدق في التجائه إليه دون سواه، معلقا أمله به وحده، فقال من كل قلبه وجوارحه: «يا ألله»، -ما أجملها من كلمة- بعد أن تقطعت به السبل، وأغلقت في وجهه الأبواب، ووصل إلى مرتبة الاضطرار، وما أدراك ما الاضطرار! قال تعالى:

---

(١)رواه الإمام أحمد واللفظ له -الفتح الرباني- (١٤/٢٤١)، وأبو داود (٥٠٩٠)، وابن حبان (٩٧٠)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٤٨٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٨٨).

(٢)رواه الترمذي (٣٥٢٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٧٧).

(٣)رواه النسائي في السنن الكبرى (١٠٤٠٥)، والحاكم (٢٠٠٠)، والبزار، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٦٦١).

(٤)رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٤/٢٦٢)، وأبو داود (١٥٢٥)، وابن ماجه واللفظ له (٣٨٨٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٦٢٣).

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

لقد عاب الله ﷻ أقواما دعوا الله تعالى أن ينجيهم من موت محقق مرَّ بهم، وعاهدوه -بعد جفاء طويل- على أن يستمروا في عبادته وشكره بعد نجاتهم، ولكنهم نقضوا عهدهم، ونسوا ما حزبهم من كرب، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فِى ٱلْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّآ إِيَّاهُ ۖ فَلَمَّا نَجَّىٰكُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٧]، وتأمل كيف أن الله تعالى نجاهم؛ مع علمه -وهو العليم الخبير- بأنهم سيعودون إلى جفائهم؛ لأنه لا يرد دعوة المضطر البتة، فكيف لو كان ذلك المضطر مسلما؟

وقد روى أبو مليكة قال: لما كان يوم فتح مكة، هرب عكرمة بن أبي جهل، فركب البحر، فخب بهم البحر، فجعلت الصراري -أي الملاحون- ومن في البحر يدعون الله ﷻ ويستغيثون به، فقال: ما هذا؟ فقيل مكان لا ينفع فيه إلا الله ﷻ، فقال عكرمة: فهذا إله محمد الذي يدعوا إليه، ارجعوا بنا، فرجعوا، فرجع وأسلم، وكانت امرأته قد أسلمت قبله فكانا على نكاحهما[(١)]

أما قوله تعالى ﴿وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٥٠]، فهو دعاؤهم بالنجاة من النار، وليس دعاء المظلوم منهم أو المضطر.

ومن أخطاء بعض الناس أنهم إذا أعيتهم الأمور وضاقت بهم السبل؛ استغاثوا بالجن أو بالملائكة على حد زعمهم عياذا بالله، تاركين الخالق جل وعلا الذي وعد بإجابة أي مضطر، وقد يستدل أولئك بأحاديث غير صحيحة؛ كالحديث الذي رُوي عن عتبة بن غزوان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا أَضَلَّ أَحَدُكُم شَيْئًا، أَوْ أرادَ غَوْثًا وهُوَ بِأَرْضٍ لَيْسَ بِها أَنِيسٌ، فَلْيَقُلْ: يا عِبادَ الله أَغِيثُونِي، يا عِبادَ الله أَغِيثُونِي، فَإِنَّ

(١) أورده الهيثمي في مجمع الزوائد، وهو مرسل ورجاله رجال الصحيح (٨/٥).

لله تعالى عِبادًا لا يَراهُمْ»[١]، وما علم هؤلاء أن من لا يسأل الله تعالى يغضب عليه؛ لما رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»[٢]، فإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، ولا تستعن بساحر أو كاهن أو جني أو ميت فتشقى.

(١٠) دعاء الصائم:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ثلاث دعوات مستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، ودعوة المسافر»[٣].

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ثلاث دعوات لا ترد: دعوة الوالد لولده، ودعوة الصائم، ودعوة المسافر»[٤].

(١١) الدعاء عند سماع صوت الديكة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الحِمَارِ، فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا»[٥].

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٢٩٠)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة (٦٥٦).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٤/٢٦٧)، والترمذي واللفظ له (٣٣٧٣)، وابن ماجه (٣٨٢٧)، والحاكم (١٨٠٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٦٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٤١٨).

(٣) رواه البيهقي في السنن الكبرى (٦١٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٣٠).

(٤) سبق تخريجه (ص٧٥).

(٥) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٤/٢٥٩)، والبخاري واللفظ له (٣٣٠٣)، ومسلم (٢٧٢٩)، والترمذي (٣٤٥٩)، وأبو داود (٥١٠٢)، وابن حبان (١٠٠٥)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٧٨٠)، والبخاري في الأدب المفرد (١٢٣٦).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ تعالى معللا الحكمة في الدعاء عند مرور الملائكة: قال القَاضِي: سَبَبه رَجَاء تَأْمِين المَلائِكَة عَلَى الدُّعَاء. اهـ[١].

(١٢) دعاء الذاكر الله كثيرا والإمام العادل:

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يرد الله دعاءهم؛ الذاكر الله كثيرا، ودعوة المظلوم، والإمام المقسط»[٢].

ذكر المناوي رَحِمَهُ اللهُ تعالى أن معنى قوله ﷺ: «الذاكر الله كثيرا» يحتمل على الدوام ويحتمل الذاكر الله تعالى كثيرا عند إرادة الدعاء[٣].

(١٣) الدعاء في الصلاة أثناء السجود:

فعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: مرَّ رسول الله ﷺ وَأَنَا مَعَهُ وَأَبُو بَكْرٍ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَهُوَ يَقْرَأُ، فَقَامَ فَسَمِعَ قِرَاءَتَهُ، ثُمَّ رَكَعَ عَبْدُ اللَّهِ وَسَجَدَ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «سَلْ تُعْطَهْ، سَلْ تُعْطَهْ»، قال: ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ مِنْ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ»، قَالَ: فَأَدْلَجْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ؛ لأُبَشِّرَهُ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَلَمَّا ضَرَبْتُ البَابَ، أَوْ قَالَ: لَمَّا سَمِعَ صَوْتِي قَالَ: مَا جَاءَ بِكَ هَذِهِ السَّاعَةَ؟ قُلْتُ: جِئْتُ لأُبَشِّرَكَ بِمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: قَدْ سَبَقَكَ أَبُو بَكْرٍ، قُلْتُ: إِنْ يَفْعَلْ فَإِنَّهُ سَبَّاقٌ بِالْخَيْرَاتِ، مَا اسْتَبَقْنَا خَيْرًا قَطُّ إِلاَّ سَبَقَنَا إِلَيْهَا أَبُو بَكْرٍ[٤].

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٧/ ٥٠ ح ٢٧٢٩).

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان (٥٨٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٦٤).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٣/٣٢٧ ح٣٥٣١).

(٤) رواه الإمام أحمد واللفظ له -الفتح الرباني- (٢٢/٣١١) وابن ماجه (١٣٨)، وابن حبان (٧٠٦٧)، والحاكم (٢٤٩٤)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٢٥٥)، والطبراني في الكبير (٨٤١٧)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٠١).

ولم يكتف أبو بكر الصديق رضي الله عنه بتبشير عبد الله بن مسعود بذلك، وإنما حرص على أن يعرف الدعاء الذي قاله أثناء سجوده، فقد روى زِرُّ بْنُ حُبَيْشٍ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ المَسْجِدَ وَهُوَ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَإِذَا ابْنُ مَسْعُودٍ يُصَلِّي، وَإِذَا هُوَ يَقْرَأُ النِّسَاءَ، فَانْتَهَى إِلَى رَأْسِ المِائَةِ، فَجَعَلَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَدْعُو وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اسْأَلْ تُعْطَهْ، اسْأَلْ تُعْطَهْ»، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَقْرَأَ القُرْآنَ غَضًّا كَمَا أُنْزِلَ؛ فَلْيَقْرَأْهُ بِقِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ»، فَلَمَّا أَصْبَحَ، غَدَا إِلَيْهِ أَبُو بَكْرٍ لِيُبَشِّرَهُ، وَقَالَ لَهُ: مَا سَأَلْتَ اللَّهَ البَارِحَةَ؟ قَالَ: قُلْتُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ إِيمَانًا لا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لا يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةَ مُحَمَّدٍ فِي أَعْلَى جَنَّةِ الخُلْدِ»، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ قَدْ سَبَقَكَ، قَالَ: يَرْحَمُ اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ؛ مَا سَبَقْتُهُ إِلَى خَيْرٍ قَطُّ إِلاَّ سَبَقَنِي[1].

فأكثر من الدعاء أثناء سجودك، فإن العبد يكون فيه أقرب إلى الله تعالى، لحديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[2].

ولحديث ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السِّتَارَةَ وَالنَّاسُ صُفُوفٌ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النُّبُوَّةِ إِلاَّ الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ، يَرَاهَا المُسْلِمُ أَوْ تُرَى لَهُ، أَلا وَإِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ القُرْآنَ رَاكِعًا أَوْ سَاجِدًا، فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عز وجل، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد واللفظ له -المسند- (٤٣٢٨)، والحاكم (٥٣٨٦)، والطبراني في الكبير (٨٤١٣)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٠١).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٣/٢٩٣)، ومسلم واللفظ له (٤٨٢)، والنسائي (١١٣٧)، وأبو داود (٨٧٥).

(٣) رواه الإمام أحمد -المسند- (١٩٠٣)، ومسلم واللفظ له (٤٧٩)، وأبو داود (٨٧٦)، والنسائي (١٠٤٥)، والدارمي (١٣٢٥).

(١٤) الدعاء في الساعة التي في يوم الجمعة:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ فقال: «فِيهِ سَاعَةٌ لا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»، وَأَشَارَ بِيَدِهِ يُقَلِّلُهَا[١]

وقد اختلف العلماء رحمهم الله تعالى في تعيين هذه الساعة لوجود حديثين صحيحين يشير الأول منهما أنها تلتمس من بعد العصر إلى غروب الشمس، ويشير الثاني أنها من جلوس الخطيب على المنبر إلى انصرافه من الصلاة.

فقد روى جابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يَوْمُ الجُمُعَةِ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً، لا يُوجَدُ فِيهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلاَّ آتَاهُ إِيَّاهُ، فَالتَمِسُوهَا آخِرَ سَاعَةٍ بَعْدَ العَصْرِ»[٢].

وروى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «التَمِسُوا السَّاعَةَ الَّتِي تُرْجَى فِي يَوْمِ الجُمُعَةِ بَعْدَ العَصْرِ إِلَى غَيْبُوبَةِ الشَّمْسِ»[٣].

وقال أبو عيسى الترمذي رحمه الله تعالى قَالَ أَحْمَدُ: أَكْثَرُ الأَحَادِيثِ فِي السَّاعَةِ الَّتِي تُرْجَى فِيهَا إِجَابَةُ الدَّعْوَةِ أَنَّهَا بَعْدَ صَلاةِ العَصْرِ، وَتُرْجَى بَعْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ. اهـ[٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد -المسند- (٩٩٢٩)، والبخاري واللفظ له (٩٣٥)، ومسلم (٨٥٢)، وأبو داود (١٠٤٨)، والنسائي (١٤٣١)، وابن ماجه (١١٣٧)، والدارمي (١٥٦٩)، وابن حبان (٢٧٧٣)، وابن خزيمة (١٧٤٠).

(٢) رواه أبو داود (١٠٤٨)، والنسائي واللفظ له (١٣٨٩)، والحاكم (١٠٣٢)، والنسائي في السنن الكبرى (١٦٩٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٠٣).

(٣) رواه الترمذي (٤٨٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٣٧).

(٤) جامع الترمذي (ح ٤٨٩).

أما من رأى أنها من جلوس الخطيب على المنبر حتى انتهاء الصلاة، فاستدل بما رواه التابعي عامر بن أبي موسى الأشعري رحمه الله تعالى حينما سأله عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قائلا: أَسَمِعْتَ أَبَاكَ يُحَدِّثُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي شَأْنِ سَاعَةِ الْجُمُعَةِ؟ قَالَ: قُلْتُ: نَعَمْ، سَمِعْتُهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الإِمَامُ إِلَى أَنْ تُقْضَى الصَّلاةُ»[1].

ورجح كثير من أهل العلم القول الأول؛ أنها بعد العصر، وجمع ابن القيم رحمه الله تعالى بين القولين فقال: وعندي أن ساعة الصلاة ساعة تُرجى فيها الإجابة أيضًا، فكلاهما ساعة إجابة، وإن كانت الساعة المخصوصة هي آخر ساعة بعد العصر فهي ساعة معينة من اليوم، لا تتقدم ولا تتأخر، وأما ساعة الصلاة فتابعة للصلاة تقدمت أو تأخرت؛ لأن لاجتماع المسلمين وصلاتهم وتضرعهم وابتهالهم إلى الله تعالى تأثيرًا في الإجابة. فساعة اجتماعهم ساعة تُرجى فيها الإجابة وعلى هذا تتفق الأحاديث كلها. اهـ[2].

وقد يقول قائل بأن الأحاديث التي تثبت بأنها الساعة التي بعد العصر فإنها تشير إلى اشتراط النبي ﷺ أن يكون المرء قائما يصلي يسأل الله تعالى، وهذا لا يمكن تحقيقه لورود النهي عن الصلاة في هذا الوقت؟

أقول: قد حصل مثل هذا التساؤل فيما بين الصحابة رضي الله عنهم، فماذا كانت الإجابة؟

روى أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُهْبِطَ مِنْهَا، وَفِيهِ سَاعَةٌ لا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يُصَلِّي فَيَسْأَلُ اللَّهَ فِيهَا شَيْئًا إِلاَّ أَعْطَاهُ إِيَّاهُ»، قَالَ: أَبُو هُرَيْرَةَ فَلَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ

---

(١) رواه الإمام مسلم واللفظ له (٨٥٣)، وأبو داود (١٠٤٩)، والبيهقي في سننه (٥٧٩٥)، وابن خزيمة (١٧٣٩).

(٢) زاد المعاد لابن القيم بتحقيق الأرناؤوط (٢/ ٣٩٤).

بْنَ سَلامٍ فَذَكَرْتُ لَهُ هَذَا الحَدِيثَ فَقَالَ: أَنَا أَعْلَمُ بِتِلْكَ السَّاعَةِ، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِهَا وَلا تَضْنَنْ بِهَا عَلَيَّ، قَالَ: هِيَ بَعْدَ العَصْرِ إِلَى أَنْ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فَقُلْتُ: كَيْفَ تَكُونُ بَعْدَ العَصْرِ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ وَهُوَ يُصَلِّي»، وَتِلْكَ السَّاعَةُ لا يُصَلَّى فِيهَا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلامٍ: أَلَيْسَ قَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ جَلَسَ مَجْلِسًا يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ فَهُوَ فِي صَلاةٍ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَهُوَ ذَاكَ[1].

(١٥) دعاء الحاج والمعتمر:

فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «الغَازِي في سَبِيلِ اللَّهِ، وَالحَاجُّ، وَالمُعْتَمِرُ، وَفْدُ اللَّهِ؛ دَعَاهُمْ فَأَجَابُوهُ وَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ»[2].

وهناك مواطن عديدة يقفها الحاج أو المعتمر يستحب الإكثار من الدعاء عندها لفعل النبي ﷺ؛ ولوعده بأن الله تعالى سيستجيب لمن سأله عندها ومنها:

(أ) الدعاء داخل الحِجْر وأثناء الطواف بالبيت:

فعن أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا دَخَلَ البَيْتَ دَعَا فِي نَوَاحِيهِ كُلِّهَا، وَلَمْ يُصَلِّ فِيهِ حَتَّى خَرَجَ فَلَمَّا خَرَجَ رَكَعَ فِي قُبُلِ البَيْتِ رَكْعَتَيْنِ وَقَالَ: «هَذِهِ القِبْلَةُ»[3].

ويمكن للمرء الدعاء أو الصلاة داخل الكعبة بدخول الحِجْر، فالحِجْر جزء من البيت، لكن قريش قصرت بهم النفقة فلم تتمكن من إلحاقه به.

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٣٢/٢٠)، والترمذي واللفظ له (٤٩١)، وأبو داود (١٠٤٦)، والنسائي (١٤٣٠)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٤٠٧).

(٢) رواه ابن ماجه واللفظ له (٢٨٩٣)، وابن حبان (٤٦١٣)، والبيهقي في السنن الكبرى (١٠١٦٧)، والطبراني (١٣٥٥٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٠٨).

(٣) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٢٠/٣)، ومسلم واللفظ له (١٣٣٠)، والنسائي (٢٩١٧)، والطبراني في الكبير (١٠٤٣).

فعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها: أَنَّهَا قَالَتْ: كُنْتُ أُحِبُّ أَنْ أَدْخُلَ البَيْتَ فَأُصَلِّيَ فِيهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِي فَأَدْخَلَنِي فِي الحِجْرِ فَقَالَ: «صَلِّي فِي الحِجْرِ إِذَا أَرَدْتِ دُخُولَ البَيْتِ، فَإِنَّمَا هُوَ قِطْعَةٌ مِنَ البَيْتِ، فَإِنَّ قَوْمَكِ اقْتَصَرُوا حِينَ بَنَوُا الكَعْبَةَ فَأَخْرَجُوهُ مِنَ البَيْتِ»[1].

كما يسن لمن يطوف بالبيت الإكثار من الدعاء وتقليل الكلام لما رواه ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «الطَّوَافُ بِالبَيْتِ صَلاةٌ؛ إِلاَّ أَنَّ اللَّهَ أَحَلَّ فِيهِ المَنْطِقَ، فَمَنْ نَطَقَ فِيهِ فَلا يَنْطِقْ إِلاَّ بِخَيْرٍ»[2].

وللطائف أن يتخير من الدعاء ما شاء، ولم يثبت عن النبي ﷺ دعاء مخصوص أثناء طوافه سوى ما رواه عَبْدُ اللَّهِ بْنُ السَّائِبِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ: «رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»[3].

(ب) الدعاء عند شرب ماء زمزم:

فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ»[4].

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٢/٥٠)، وأبو داود واللفظ له (٢٠٢٨)، والترمذي (٨٧٦)، والنسائي (٢٩١٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٧٩٢).

(٢) رواه الترمذي (٩٦٠)، الطبراني (١٠٩٥٥)، والحاكم (١٦٨٦)، وابن حبان (٣٨٣٦)، والدارمي واللفظ له (١٨٤٧)، وابن خزيمة (٢٧٣٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩٠٧٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٥٤).

(٣) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٢/٦٧)، وأبو داود واللفظ له (١٨٩٢)، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود (١٦٦٦).

(٤) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢٣/٢٤٧)، وابن ماجه واللفظ له (٣٠٦٢)، والحاكم (١٧٣٩)، والبيهقي في سننه (٩٤٤٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٥٠٢).

(ج) الدعاء فوق الصفا والمروة وفيما بينهما:

يسن لمن أراد السعي بين الصفا والمروة للعمرة أو الحج أن يدعو فوق الصفا والمروة، فدعاؤه مستجاب وتفتح له أبواب السماء بإذن الله تعالى، لا سيما إذا تقدمه قول الذكر الذي تُفتق له أبواب السماء الذي كان يقوله النبي ﷺ في هذا الموطن، وقد أشرنا إليه في مبحث الأقوال التي تفتح لها أبواب السماء.

فعَنْ جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ طَافَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالبَيْتِ سَبْعًا؛ رَمَلَ مِنْهَا ثَلاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا، ثُمَّ قَامَ عِنْدَ المَقَامِ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥] وَرَفَعَ صَوْتَهُ يُسْمِعُ النَّاسَ، ثُمَّ انْصَرَفَ فَاسْتَلَمَ، ثُمَّ ذَهَبَ فَقَالَ: «نَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ»، فَبَدَأَ بِالصَّفَا فَرَقِيَ عَلَيْهَا حَتَّى بَدَا لَهُ البَيْتُ فَقَالَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ: «لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، فَكَبَّرَ اللَّهَ وَحَمِدَهُ، ثُمَّ دَعَا بِمَا قُدِّرَ لَهُ، ثُمَّ نَزَلَ مَاشِيًا حَتَّى تَصَوَّبَتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ المَسِيلِ، فَسَعَى حَتَّى صَعِدَتْ قَدَمَاهُ، ثُمَّ مَشَى حَتَّى أَتَى المَرْوَةَ فَصَعِدَ فِيهَا، ثُمَّ بَدَا لَهُ البَيْتُ فَقَالَ: «لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»، قَالَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهَ وَسَبَّحَهُ وَحَمِدَهُ، ثُمَّ دَعَا عَلَيْهَا بِمَا شَاءَ اللَّهُ، فَعَلَ هَذَا حَتَّى فَرَغَ مِنَ الطَّوَافِ[١].

(د) الدعاء في عرفة:

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ، وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»[٢].

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١١/٧٧)، ومسلم (١٢١٨)، والنسائي واللفظ له (٢٩٧٤)، وأبو داود (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٠٧٤).

(٢) رواه الإمام مالك (٤٩٨)، والترمذي (٣٥٨٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩٢٥٦)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره (١٥٣٦).

وفي رواية لطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ كَرِيزٍ رَحِمَهُ اللهُ تعالى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَفْضَلُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ»(١).

ويكفي يوم عرفة شرفا أن الحقَّ تبارك وتعالى يدنو من الحجاج في هذا اليوم العظيم، ويباهي بهم ملائكته، حيث روت عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتِقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو، ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلائِكَةَ، فَيَقُولُ: مَا أَرَادَ هَؤُلاءِ؟»(٢)؛ ولذلك كان الدعاء فيه أقرب للإجابة؛ لأنه أفضل الدعاء.

والمباهاة تعني إظهار الله تعالى فضل عباده الطائعين عند ملائكته، ولم أقف على حديث صحيح صرح بفتح أبواب السماء في يوم عرفة؛ على الرغم من شرف هذا اليوم، ولكن يفهم ضمنا من أحاديث أخرى حيث أوردت السنة النبوية -كما سيأتي في المبحث التالي- أن الله عَزَّ وَجَلَّ يفتح أبواب السماء ليباهي ويفاخر ملائكته بعباده الذين يحضرون مجالس الذكر والذين ينتظرون الصلاة بعد الصلاة، مما يشير إلى أن الله عَزَّ وَجَلَّ إذا أراد أن يباهي ويفاخر بعباده ملائكته؛ فتح أبواب السماء -والعلم عند الله عَزَّ وَجَلَّ- وهذا ما يستنبط من مباهات الرب عَزَّ وَجَلَّ بالحجاج في يوم عرفة.

وهناك أثر فيه ضعف يمكن أن يستأنس به؛ يشير صراحة إلى فتح أبواب السماء في يوم عرفة، حيث رُوِيَ عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنها قالت: «إن يوم الجُمُعَةِ مِثْلُ يَوْمِ عَرَفَةَ، تُفْتَحُ فيه أَبْوَابُ السماء، وَفِيهِ سَاعَةٌ لاَ يَسْأَلُ اللَّهَ العَبْدُ شيئا إِلاَّ أَعْطَاهُ، قيل: وَأَيَّةُ سَاعَةٍ هي؟ قالت: إذا أَذَّنَ المؤذن لصلاة الجمعة»(٣).

---

(١) رواه الإمام مالك (٤٩٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٠٢).

(٢) رواه مسلم واللفظ له (١٣٤٨)، وابن ماجه (٣٠١٤)، والنسائي (٣٠٠٣)، وابن خزيمة (٢٨٢٧)، والحاكم (١٧٠٥)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩٢٦٣).

(٣) رواه ابن المنذر في الأوسط واللفظ له (١٦٧٥)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٥٤٧١).

(هـ) الدعاء عند المشعر الحرام في المزدلفة:

فقد وصف جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما حجة النبي ﷺ وكان مما قاله: حَتَّى أَتَى الْمُزْدَلِفَةَ فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، وَصَلَّى الْفَجْرَ حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا.... الحديث[1].

(و) الدعاء بعد رمي الجمرة الصغرى والوسطى:

فعَنْ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ كَانَ يَرْمِي الْجَمْرَةَ الدُّنْيَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ عَلَى إِثْرِ كُلِّ حَصَاةٍ، ثُمَّ يَتَقَدَّمُ حَتَّى يُسْهِلَ -أي يقف على أرض منبسطة لا ارتفاع فيها- فَيَقُومَ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، فَيَقُومُ طَوِيلًا وَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَرْمِي الْوُسْطَى، ثُمَّ يَأْخُذُ ذَاتَ الشِّمَالِ فَيَسْتَهِلُ، وَيَقُومُ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ، فَيَقُومُ طَوِيلًا وَيَدْعُو وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ وَيَقُومُ طَوِيلًا، ثُمَّ يَرْمِي جَمْرَةَ ذَاتِ الْعَقَبَةِ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي وَلَا يَقِفُ عِنْدَهَا، ثُمَّ يَنْصَرِفُ فَيَقُولُ: هَكَذَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَفْعَلُهُ[2].

---

(١) رواه الإمام مسلم واللفظ له (١٢١٨)، وأبو داود (١٩٠٥)، وابن ماجه (٣٠٧٤)، والدارمي (١٨٥٠).

(٢) رواه الإمام أحمد -المسند- (٦٣٦٨)، والبخاري واللفظ له (١٧٥١)، والنسائي (٣٠٨٣)، والدارمي (١٩٠٣).

المبحث الثاني
أعمال تفتح لها أبواب السماء

۞ (العمل الأول) أداء سنة الظهر القبلية أربع ركعات

فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أربع قبل الظهر تفتح لهن أبواب السماء»(١).

وفي رواية له أيضا رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَبْوَابَ السَّمَاءِ تُفْتَحُ عِنْدَ زَوَالِ الشَّمْسِ، فَلا تُرْتَجُ -أي لا تُغلق- حَتَّى يُصَلَّى الظُّهْرُ، فَأُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ لِي فِيهَا خَيْرٌ»(٢).

وروى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ السَّائِبِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي أَرْبَعًا بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَقَالَ: «إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ»(٣).

سبق أن أوردنا أن أبواب السماء تفتح عند النداء للصلاة، ومع ذلك ذكر النبي ﷺ أن أربع ركعات قبل الظهر تفتح لهن أبواب السماء، وهذا يحتمل أن أبوابا أخرى تفتح لهذه الصلاة؛ مما يؤكد أهميتها وفضلها(٤).

---

(١) رواه أبو داود (٣١٢٨)، والترمذي في الشمائل، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره (٥٨٥).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٤/٢٠١)، والبيهقي في سننه (٤٣٥٥)، والطبراني في الكبير (٤٠٣٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٥٣٢).

(٣) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٤/٢٠٢)، والترمذي واللفظ له (٤٧٨)، والطبراني في الكبير (٤٠٣٧)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٤٧٨).

(٤) يرى بعض أهل العلم أن الأربع ركعات قبل الظهر هي غير الأربع الراتبة التي قبل الظهر، قال المباركفوري في تحفة الأحوذي عند شرح قوله: (كَانَ يُصَلِّي أَرْبَعًا بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ): قَالَ

=

وكان النبي ﷺ يواظب على هذه الركعات، لما روته عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كَانَ لا يَدَعُ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الغَدَاةِ[١].

وروى أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: لما نزل رسول الله ﷺ عليَّ رأيته يديم أربعا قبل الظهر، وقال: «إنه إذا زالت الشمس فتحت أبواب السماء، فلا يغلق منها باب حتى تصلى الظهر، فأنا أحب أن يرفع لي في تلك الساعة خير»[٢].

⇦ ومن فضائل هذه الأربع ركعات أنها تعدل الصلاة في آخر الليل -أي ثوابها كثواب قيام الليل- ومعلوم أن أفضل الصلاة بعد الفريضة هي الصلاة في جوف الليل، فعن أبي صالح رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَرْبَعُ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ يَعْدِلْنَ بِصَلاَةِ السَّحَرِ»[٣]، فمن عجز عن قيام الليل فلا يُفوت عليه هذه الركعات المباركات.

⇦ كما جاء في فضلها أنها ستكون حجابا لصاحبها من النار أثناء مروره على الصراط لو زاد عليها أربع ركعات أخرى بعد الفريضة، حيث روت أم حبيبة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «مَنْ حَافَظَ عَلَى أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ وَأَرْبَعٍ بَعْدَهَا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»[٤].

=

العِرَاقِيُّ: هِيَ غَيْرُ الأَرْبَعِ الَّتِي هِيَ سُنَّةُ الظُّهْرِ قَبْلَهَا وَتُسَمَّى هَذِهِ سُنَّةَ الزَّوَالِ اهـ. (٢/٥٨٨ ح ٤٧٨)، بينما ذكر الدكتور سعيد القحطاني في كتابه «صلاة المؤمن» نقلا عن ابن باز رحمه الله تعالى بأن هذه الأربع هي راتبة الظهر (صفحة ٣٠٨).

(١) رواه البخاري (١١٨٢)، وأبو داود (١٢٥٣)، والنسائي (١٧٥٧)، وأبو داود (١٢٥٣)، والدارمي (١٤٣٩)، والبيهقي في سننه (٤٢٦١).

(٢) رواه الطبراني في الكبير (٤٠٣٥)، والبيهقي في سننه (٤٣٥٨)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره (٥٨٥).

(٣) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه (٥٩٤٠)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٤٣١).

(٤) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٤/٢٠٠)، والترمذي واللفظ له (٤٢٨)، والنسائي (١٨١٦)، وأبو داود (١٢٦٩)، وابن ماجه (١١٦٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٩٥).

⇦ ولذلك كان النبي ﷺ لا يدع سنة الظهر القبلية، وإذا فاتته صلاها بعد الفريضة، حيث روت عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كَانَ إِذَا لَمْ يُصَلِّ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، صَلاَّهُنَّ بَعْدَهُ[١]، وفي رواية أخرى قالت: كان إذا فاته الأربع قبل الظهر صلاها بعد الظهر[٢].

قال أبو عيسى الترمذي رحمه الله تعالى: وَالحَدِيثُ يَدُلُّ عَلَى مَشْرُوعِيَّةِ المُحَافَظَةِ عَلَى السُّنَنِ الَّتِي قَبْلَ الفَرَائِضِ وَعَلَى اِمْتِدَادِ وَقْتِهَا إِلَى آخِرِ وَقْتِ الفَرِيضَةِ، وَذَلِكَ لأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ أَوْقَاتُهَا تَخْرُجُ بِفِعْلِ الفَرَائِضِ لَكَانَ فِعْلُهَا بَعْدَهَا قَضَاءً وَكَانَتْ مُقَدَّمَةً عَلَى فِعْلِ سُنَّةِ الظُّهْرِ، وَقَدْ ثَبَتَ فِي حَدِيثِ البَابِ أَنَّهَا تُفْعَلُ بَعْدَ رَكْعَتَيْ الظُّهْرِ، ذَكَرَ مَعْنَى ذَلِكَ العِرَاقِيُّ قَالَ: وَهُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ. اهـ[٣].

فينبغي لمن حرص على هذا الثواب الكبير؛ التبكير إلى المسجد لأدائها، ولا يشترط في أدائها أن تكون أربع ركعات بتسليم واحد لعدم صحة الحديث الوارد في ذلك[٤].

۞ (العمل الثاني) انتظار الصلاة بعد الصلاة

فعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: صَلَّيْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ المَغْرِبَ فَرَجَعَ مَنْ رَجَعَ، وَعَقَّبَ مَنْ عَقَّبَ، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْرِعًا قَدْ حَفَزَهُ النَّفَسُ، وَقَدْ حَسَرَ عَنْ رُكْبَتَيْهِ فَقَالَ: «أَبْشِرُوا هَذَا رَبُّكُمْ قَدْ فَتَحَ بَابًا مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ، يُبَاهِي بِكُمْ

---

(١) رواه الترمذي (٤٢٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٣٥٠).

(٢) رواه البيهقي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٤٧٥٩).

(٣) جامع الترمذي (ح ٤٢٦).

(٤) روى أبو داود عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أربع قبل الظهر «ليس فيهن تسليم» تفتح لهن أبواب السماء»، حسنه الألباني في صحيح الجامع (٨٨٥)، ثم تراجع عنه وضعفه في ضعيف الترغيب والترهيب (٣٢٠).

المَلائِكَةَ يَقُولُ: انْظُرُوا إِلَى عِبَادِي قَدْ قَضَوْا فَرِيضَةً وَهُمْ يَنْتَظِرُونَ أُخْرَى»[١].

هي دعوة للمسلمين عامة ولكبار السن خاصة بالجلوس في المسجد بعد المغرب انتظارًا لصلاة العشاء، فهذا من الرباط، وقد أكد النبي ﷺ ذلك ثلاث مرات في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ، فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ»[٢].

واعلم بأن المرابط في سبيل الله هو الوحيد الذي يستمر ثوابه في نماء إلى يوم القيامة لو مات عليه، فتخيل لو أن رجلا من كبار السن عوَّد نفسه على البقاء في المسجد بعد المغرب ينتظر العشاء، فجاء أجله وهو في المسجد ينتظر الفريضة، لسُجِّلَ له ثواب عمله إلى يوم القيامة بإذن الله، لما رواه فَضَالَة بْن عُبَيْدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَى عَمَلِهِ إِلاَّ المُرَابِطَ، فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ مِنْ فَتَّانِ القَبْرِ»[٣].

وروى العرباض بن سارية رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «كل عمل ينقطع عن صاحبه إذا مات إلا المرابط في سبيل الله، فإنه يُنمى له عمله، ويجري له رزقه إلى يوم القيامة»[٤]، أرأيت عظم هذا الثواب الذي لا ينقطع؟ فياليتني أموت مرابطا.

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢/٢٠٩)، وابن ماجه واللفظ له (٨٠١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤٤٥).

(٢) رواه الإمام مالك (٣٨٦)، وأحمد -الفتح الرباني- (١/٣٠٧)، ومسلم (٢٥١)، والترمذي (٥١)، والنسائي (١٤٣)، وابن حبان (١٠٣٨)، وابن خزيمة (٥).

(٣) رواه أبو داود (٢٥٠٠)، والترمذي (١٦٢١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢١٨).

(٤) رواه الطبراني في الكبير (١٨/٢٥٦) (٦٤١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢٢٠).

فبعض الناس قد لا يكون لديه ما يشغله، وتراه جالسا في البيت ينتظر صلاة العشاء، فلو كان جلوسه في أحد زوايا المسجد ينتظر الصلاة -ولو أن يحضر معه القهوة أو الشاي إن احتاج لذلك- فأجر ذلك عظيم ولا يقدر بثمن، ويكفي أن يفتح الله بابا من السماء يباهي بصنيعه ذلك ملائكته الكرام، كمباهاته بالحجاج في يوم عرفة.

قال ابن بطال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: من كان كثير الذنوب وأراد أن يحطها عنه بغير تعب فليغتنم ملازمة مكان مصلاه ليستكثر من دعاء الملائكة واستغفارهم له، فهو مرجو إجابتهم لقوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. اهـ[١].

۞ (العمل الثالث) الصدقة

فعن أبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَصَدَّقَ أَحَدٌ بِصَدَقَةٍ مِنْ طَيِّبٍ، وَلا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلاَّ الطَّيِّبَ، إِلاَّ أَخَذَهَا الرَّحْمَنُ بِيَمِينِهِ، وَإِنْ كَانَتْ تَمْرَةً تَرْبُو فِي كَفِّ الرَّحْمَنِ حَتَّى تَكُونَ أَعْظَمَ مِنَ الجَبَلِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ أَوْ فَصِيلَهُ»[٢].

ومتى ما وصلت هذه الصدقة إلى الله تعالى؛ فهذا يعني أن أبواب السماء قد فتحت لها.

---

(١) إعلام الساجد بأحكام المساجد للزركشي، طبعة إدارة الأوقاف المصرية، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ (صفحة ٣٠٢).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٩/٤٤)، والبخاري واللفظ له (١٤١٠)، ومسلم (١٠١٤)، والترمذي (٦٦١)، والنسائي (٢٥٢٥)، وابن ماجه (١٨٤٢)، وابن حبان (٣٣١٦)، والدارمي (١٦٧٥)، وابن خزيمة (٢٤٢٦)، والحاكم (٣٢٨٣).

فاحرص رحمك الله تعالى على الكسب الحلال، وأخرج منه صدقة لله لتفتح لها أبواب السموات ويضاعفها لك رب العالمين، وتأمل كم نسبة التمرة إلى الجبل، لتدرك فضل الله تعالى في مضاعفة الثواب خصوصا الصدقة.

۞ (العمل الرابع) الحلم وعدم الانتصار للنفس

يمكن أن تفتح أبواب السماء وينزل إليك ملَك يؤيدك ويدافع عنك؛ إذا حلمت على من اعتدى عليك ولم تنتصر لنفسك.

فعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى أَنَّهُ قال: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَقَعَ رَجُلٌ بِأَبِي بَكْرٍ فَآذَاهُ، فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ آذَاهُ الثَّانِيَةَ، فَصَمَتَ عَنْهُ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ آذَاهُ الثَّالِثَةَ فَانْتَصَرَ مِنْهُ أَبُو بَكْرٍ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ حِينَ انْتَصَرَ أَبُو بَكْرٍ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَوَجَدْتَ عَلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَزَلَ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُكَذِّبُهُ بِمَا قَالَ لَكَ، فَلَمَّا انْتَصَرْتَ وَقَعَ الشَّيْطَانُ، فَلَمْ أَكُنْ لأَجْلِسَ إِذْ وَقَعَ الشَّيْطَانُ»(١).

وفي رواية لأبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا شتم أبا بكر، والنبي ﷺ جالس، فجعل النبي ﷺ يعجب وَيَتَبَسَّمُ، فلما أكثر رد عليه بعض قوله، فغضب النبي ﷺ وقام، فلحقه أبو بكر فقال: يا رسول الله كان يشتمني وأنت جالس، فلما رددتُ عليه بعض قوله غضبت وقمت؟ قال: «إنه كان معك ملك يرد عنك، فلما رددت عليه بعض قوله وقع الشيطان، فلم أكن لأقعد مع الشيطان»، ثم قال: «يَا أَبَا بَكْرٍ ثَلاثٌ كُلُّهُنَّ حَقٌّ: مَا مِنْ عَبْدٍ ظُلِمَ بِمَظْلَمَةٍ فَيُغْضِي عَنْهَا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ أَعَزَّ اللَّهُ بِهَا نَصْرَهُ، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ عَطِيَّةٍ يُرِيدُ بِهَا صِلَةً؛ إِلاَّ زَادَهُ اللَّهُ بِهَا كَثْرَةً، وَمَا فَتَحَ رَجُلٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ يُرِيدُ بِهَا كَثْرَةً؛ إِلاَّ زَادَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهَا قِلَّةً»(٢).

---

(١) رواه أبو داود (٤٨٩٦)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣٧٦).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٩/٨٢)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: إسناده جيد (٥/٢٧١ ح٢٢٣١).

إن الانتصار للنفس أمر مباح ومشروع لقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [الشورى: ٣٩-٤٢]، ولكن الصبر على ذلك عند المقدرة واحتساب الأجر عزيمة ومرتبة رفيعة وخلق سامٍ يسمو بصاحبه إلى درجات الكمال، وهذا ما طلبه النبي ﷺ من أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ لأنه الرجل الثاني في هذه الأمة الذي يزن إيمانه إيمان الأمة بعد رسول الله ﷺ

فقد روى ابن عمر رضي الله عنهما قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فَقَالَ: «رَأَيْتُ قُبَيْلَ الفَجْرِ كَأَنِّي أُعْطِيتُ المَقَالِيدَ وَالمَوَازِينَ، فَأَمَّا المَقَالِيدُ فَهَذِهِ المَفَاتِيحُ، وَأَمَّا المَوَازِينُ فَهِيَ الَّتِي تَزِنُونَ بِهَا، فَوُضِعْتُ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ أُمَّتِي فِي كِفَّةٍ، فَوُزِنْتُ بِهِمْ فَرَجَحْتُ، ثُمَّ جِيءَ بِأَبِي بَكْرٍ فَوُزِنَ بِهِمْ فَوَزَنَ، ثُمَّ جِيءَ بِعُمَرَ فَوُزِنَ فَوَزَنَ، ثُمَّ جِيءَ بِعُثْمَانَ فَوُزِنَ بِهِمْ ثُمَّ رُفِعَتْ»(١)

فهل نحذو حذوه؟

وقد روى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**ثلاث أقسم عليهن؛ ما نقص مال قط من صدقة فتصدقوا، ولا عفا رجل عن مظلمة ظلمها إلا زاده الله تعالى بها عزا، فاعفوا يزدكم الله عزا، ولا فتح رجل على نفسه باب مسألة يسأل الناس، إلا فتح الله عليه باب فقر**»(٢)

---

(١) رواه الإمام أحمد واللفظ له -الفتح الرباني- (٢٢/١٨٦)، والطبراني في الكبير (١٦٥)، وصححه الألباني في تخريجه لكتاب السنة لابن أبي عاصم (١١٣٨).

(٢) رواه ابن أبي الدنيا، والقضاعي في مسند الشهاب (٨١٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٢٥).

وروى عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: لقيت رسول الله ﷺ فَأَخَذْتُ بِيَدِهِ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَخْبِرْنِي بِفَوَاضِلِ الأَعْمَالِ فَقَالَ: «يَا عُقْبَةُ صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ»، وفي رواية: «واعف عَمَّنْ ظَلَمَكَ»[1].

ومن أراد الانتصار لنفسه فلا يقابل الظلم بمثله، فلا ينبغي له مقابلة السب بالسب، ولا التعيير بمثله حيث روى جَابِرُ بْنُ سُلَيْم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ لرسول الله ﷺ: اعْهَدْ إِلَيَّ، قَالَ: «لا تَسُبَّنَّ أَحَدًا»، قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا وَلا عَبْدًا وَلا بَعِيرًا وَلا شَاةً، قَالَ: «وَلا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ المَعْرُوفِ، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ المَعْرُوفِ، وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَى نِصْفِ السَّاقِ فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ المَخِيلَةِ، وَإِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ المَخِيلَةَ، وَإِنِ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ»[2].

❁ (العمل الخامس) مدارسة القرآن الكريم في المسجد

يمكن أن تفتحَ أبواب السماء؛ لتتنزل عليك الملائكة عليهم السلام، باجتماعك على تلاوة القرآن الكريم، ومدارسته في حلقة في المسجد.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى، يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلاَّ نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد-الفتح الرباني- (١٩/٨٢)، والحاكم (٧٢٨٥)، والطبراني (٧٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٣٦).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٧/٣٣٣)، وأبو داود واللفظ له (٤٠٨٤)، والنسائي في السنن الكبرى (٩٦٩٣)، والطبراني (٦٣٨٨)، والبخاري في الأدب المفرد (١١٨٢)، وابن أبي شيبة في مصنفه (٢٤٨٢٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٣٠٩).

(٣) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٩/٦٦)، ومسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود واللفظ له (١٤٥٥)، والترمذي (٢٩٤٥)، وابن ماجه (٢٢٥)، والدارمي (٣٥٦)، وابن حبان (٧٦٨).

إن الاجتماع على تلاوة القرآن الكريم في حلقة في المسجد عبادة جليلة يحبها الله ﷻ ويثني على أصحابها ويذكرهم فيمن عنده، ويرسل لها ملائكته الكرام، وهذه الحلقات زهدها كثير من الشباب وكبار السن، فقلَّت في أوساطهم، واقتصر معظمها على الأطفال، فلا شك أن هذا حرمان من الحصول على الخيرية التي أثبتها النبي ﷺ لكل من تعلم القرآن وعلمه، حيث روى عُثْمَان بن عَفَّان رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ»[1]، لا سيما أن القراءة على معلم مشافهة تساعد على تصحيح التلاوة وكشف الخطأ الذي لا ينتبه له من يقرأ بمفرده.

كثير من الناس لا يحسن قراءة القرآن، وقد يخجل أن يسأل أو يتعلم وهو في سن متقدمة؛ لذلك أنصح أئمة المساجد بالمبادرة إلى إقامة حلقات للكبار لتصحيح التلاوة، وإني على يقين أن يستجيب لها الكثير خصوصا إذا انطلقت من بداية شهر رمضان -شهر الإقبال على القرآن- لعلها أن تستمر طوال العام.

إن تعلم آية من كتاب الله ﷻ في المسجد له ثواب عظيم سيفرح به المرء يوم القيامة، حيث روى عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي الصُّفَّةِ فَقَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنْ يَغْدُوَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى بُطْحَانَ -اسم واد في المدينة- أَوْ إِلَى الْعَقِيقِ فَيَأْتِيَ مِنْهُ بِنَاقَتَيْنِ كَوْمَاوَيْنِ -أي عظيمتي السنام- فِي غَيْرِ إِثْمٍ وَلا قَطْعِ رَحِمٍ؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ نُحِبُّ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفَلا يَغْدُو أَحَدُكُمْ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَيَعْلَمُ أَوْ يَقْرَأُ آيَتَيْنِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﷻ خَيْرٌ لَهُ مِنْ نَاقَتَيْنِ، وَثَلاثٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ ثَلاثٍ، وَأَرْبَعٌ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَرْبَعٍ، وَمِنْ أَعْدَادِهِنَّ مِنَ الإِبِلِ»[2].

---

(1) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٨/٥)، والبخاري واللفظ له (٥٠٢٧)، والترمذي (٢٩٠٧)، وأبو داود (١٤٥٢)، وابن ماجه (٢١٢)، والدارمي (٣٣٣٧).

(2) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٨/٨)، ومسلم واللفظ له (٨٠٣)، وأبو داود (١٤٥٦).

لعل معنى الحديث أن فرحة المرء يوم القيامة بثواب تعلمه آية واحدة يزيد على فرحة الفقير حين يجد ناقة سمينة فيتملكها، وأن تعلم آية واحدة لا يعدلها ثواب الدنيا.

(العمل السادس) مجالس الذكر

فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إِنَّ لِلَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلائِكَةً سَيَّارَةً فُضُلًا، يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّى يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عز وجل وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادٍ لَكَ فِي الأَرْضِ؛ يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتَكَ قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لا أَيْ رَبِّ، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَنِي؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلانٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»(١).

وروى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: خَرَجَ مُعَاوِيَةُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَقَالَ: مَا يُجْلِسُكُمْ؟ قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ، قَالَ: آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ؟ قَالُوا: وَاللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ، قَالَ: أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَقَلَّ حَدِيثًا عَنْهُ مِنِّي، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَلَى حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٤/١٩٩)، والبخاري (٦٤٠٨)، ومسلم واللفظ له (٢٦٨٩)، والترمذي (٣٦٠٠)، والحاكم (١٨٢١)، وابن حبان (٨٥٧).

فَقَالَ: «مَا يُجْلِسُكُمْ؟» قَالُوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللَّهَ وَنَحْمَدُهُ لِمَا هَدَانَا لِلإِسْلامِ وَمَنَّ عَلَيْنَا بِهِ، فَقَالَ: «آللَّهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلاَّ ذَاكَ؟» قَالُوا: آللَّهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلاَّ ذَاكَ، قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ لِتُهْمَةٍ لَكُمْ، إِنَّهُ أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللَّهَ يُبَاهِي بِكُمُ الْمَلَائِكَةَ»[1].

ويقصد بمجالس الذكر مجالس التسبيح والتهليل وذكر الله تعالى، ولا يقصد بها مجالس العلم، ولذلك نجد الأحاديث سابقة الذكر ذكرها المحدثون في كتبهم تحت باب فضل ذكر الله تعالى، ولم يذكروها تحت باب فضل طلب العلم، فتنبه.

قال ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى في تعريف مجالس الذكر: وَيُؤْخَذ مِنْ مَجْمُوع هَذِهِ الطُّرُق الْمُرَاد بِمَجَالِس الذِّكْر، وَأَنَّهَا الَّتِي تَشْتَمِل عَلَى ذِكْر اللَّه بِأَنْوَاعِ الذِّكْر الْوَارِدَة مِنْ تَسْبِيح وَتَكْبِير وَغَيْرهمَا، وَعَلَى تِلاوَة كِتَاب اللَّه ﷻ وَعَلَى الدُّعَاء بِخَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالآخِرَة، وَفِي دُخُول قِرَاءَة الْحَدِيث النَّبَوِيّ وَمُدَارَسَة الْعِلْم الشَّرْعِيّ وَمُذَاكَرَته وَالاجْتِمَاع عَلَى صَلاة النَّافِلَة فِي هَذِهِ الْمَجَالِس نَظَر، وَالأَشْبَه اخْتِصَاص ذَلِكَ بِمَجَالِس التَّسْبِيح وَالتَّكْبِير وَنَحْوهمَا وَالتِّلاوَة حَسْب، وَإِنْ كَانَتْ قِرَاءَة الْحَدِيث وَمُدَارَسَة الْعِلْم وَالْمُنَاظَرَة فِيهِ مِنْ جُمْلَة مَا يَدْخُل تَحْت مُسَمَّى ذِكْر اللَّه تَعَالَى. اهـ[2].

وقال المباركفوري رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: اِخْتَلَفَ الْحَافِظُ وَالْعَيْنِيُّ فِي أَنَّ الْمُرَادَ بِمَجَالِسِ الذِّكْرِ وَأَهْلِ الذِّكْرِ الْخُصُوصُ أَوْ الْعُمُومُ فَاخْتَارَ الْحَافِظُ الْخُصُوصَ نَظَرًا إِلَى ظَاهِرِ أَلْفَاظِ الطُّرُقِ الْمَذْكُورَةِ، وَاخْتَارَ الْعَيْنِيُّ لِلْعُمُومِ نَظَرًا إِلَى أَنَّ مَا فِي هَذِهِ الطُّرُقِ مِنْ أَلْفَاظِ الذِّكْرِ تَمْثِيلَاتٌ وَالظَّاهِرُ هُوَ الْخُصُوصُ كَمَا قَالَ الْحَافِظُ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٣٠٥/١٤)، ومسلم (٢٧٠١)، والترمذي واللفظ له (٣٣٧٩)، والنسائي (٥٤٢٦)، وابن حبان (٨١٣)، والطبراني (٧٠١).

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني (٢١٦/١١ ح ٦٤٠٨).

(٣) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (٦٠/١٠ ح ٣٦٠٠).

ومثل هذه المجالس قلَّ العمل بها؛ ونفر بعض الصالحين من حضورها أو إنشائها، ولعل سبب ذلك هو خوفهم من الوقوع فيما وقعت به بعض الطوائف التي أساءت طريقة أداء هذه المجالس فجعلوها مجالس هز للرؤوس والأجسام وتلفظ بكلمات ليست من التسبيح والتحميد، كمثل قولهم: (الله حي) أو (هو هو)، وبعضها يديرها فرد فيأمر مريديه: سبحوا كذا وكذا، واحمدوا كذا وكذا، والسُّنة أن لا يُحدد لها يوما معينا، ولا ذكرا بعدد معين، ولا أن يذكر الله تعالى جماعيا بصوت واحد.

فقد سمع عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن مجلس ذكر فأنكر طريقة إدارته، حيث روى أبو البَخْتَرِي رحمه الله تعالى قال: أخبر رجل عبد الله بن مسعود أنَّ قوما يجلسون في المسجد بعد المغرب، فيهم رجل يقول: كبروا الله كذا وكذا، سبحوا الله كذا وكذا، واحمدوا الله كذا وكذا، قال: عبد الله: فيقولون؟ قال: نعم، قال: فإذا رأيتهم فعلوا ذلك فأتني فأخبرني بمجلسهم، فأتاهم وعليه برنس له، فجلس، فلما سمع ما يقولون قام، وكان رجلا حديدا، فقال: أنا عبد الله بن مسعود، والله الذي لا إله غيره، لقد جئتم ببدعة ظلما، ولقد فضلتم أصحاب محمد ﷺ علما، فقال معضد: والله ما جئنا ببدعة ظلما، ولا فضلنا أصحاب محمد علما، فقال عمرو بن عتبة: يا أبا عبد الرحمن؛ نستغفر الله، قال: عليكم بالطريق فالزموه، فوالله لئن فعلتم لقد سبقتم سبقا بعيدا، ولئن أخذتم يمينا وشمالا لتضلن ضلالا بعيدا. اهـ[1].

وفي رواية للدارمي أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه قال لابن مسعود رضي الله عنه: إِنِّي رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ آنِفًا أَمْرًا أَنْكَرْتُهُ وَلَمْ أَرَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ إِلاَّ خَيْرًا، قَالَ: فَمَا هُوَ؟ فَقَالَ إِنْ عِشْتَ فَسَتَرَاهُ، قَالَ: رَأَيْتُ فِي الْمَسْجِدِ قَوْمًا حِلَقًا جُلُوسًا يَنْتَظِرُونَ الصَّلاَةَ، فِي كُلِّ حَلْقَةٍ رَجُلٌ، وَفِي أَيْدِيهِمْ حَصًى، فَيَقُولُ: كَبِّرُوا مِائَةً فَيُكَبِّرُونَ مِائَةً، فَيَقُولُ: هَلِّلُوا مِائَةً

(١) رواه أبو نعيم في الحلية واللفظ له (٤/ ٣٨١)، والدارمي (٢٠٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥/ ١١).

فَيُهَلِّلُونَ مِائَةً، وَيَقُولُ: سَبِّحُوا مِائَةً فَيُسَبِّحُونَ مِائَةً، قَالَ: فَمَاذَا قُلْتَ لَهُمْ؟ قَالَ: مَا قُلْتُ لَهُمْ شَيْئًا انْتِظَارَ رَأْيِكَ وَانْتِظَارَ أَمْرِكَ، قَالَ: أَفَلا أَمَرْتَهُمْ أَنْ يَعُدُّوا سَيِّئَاتِهِمْ وَضَمِنْتَ لَهُمْ أَنْ لا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِهِمْ، ثُمَّ مَضَى وَمَضَيْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَى حَلْقَةً مِنْ تِلْكَ الحِلَقِ فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: مَا هَذَا الَّذِي أَرَاكُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالُوا: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ حَصًى نَعُدُّ بِهِ التَّكْبِيرَ وَالتَّهْلِيلَ وَالتَّسْبِيحَ، قَالَ: فَعُدُّوا سَيِّئَاتِكُمْ فَأَنَا ضَامِنٌ أَنْ لا يَضِيعَ مِنْ حَسَنَاتِكُمْ شَيْءٌ، وَيْحَكُمْ يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مَا أَسْرَعَ هَلَكَتَكُمْ، هَؤُلاءِ صَحَابَةُ نَبِيِّكُمْ ﷺ مُتَوَافِرُونَ، وَهَذِهِ ثِيَابُهُ لَمْ تَبْلَ، وَآنِيَتُهُ لَمْ تُكْسَرْ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّكُمْ لَعَلَى مِلَّةٍ هِيَ أَهْدَى مِنْ مِلَّةِ مُحَمَّدٍ أَوْ مُفْتَتِحُو بَابِ ضَلالَةٍ، قَالُوا: وَاللَّهِ يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا أَرَدْنَا إِلاَّ الخَيْرَ، قَالَ: وَكَمْ مِنْ مُرِيدٍ لِلْخَيْرِ لَنْ يُصِيبَهُ، إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَنَا أَنَّ قَوْمًا يَقْرَءُونَ القُرْآنَ لا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَايْمُ اللَّهِ مَا أَدْرِي لَعَلَّ أَكْثَرَهُمْ مِنْكُمْ، ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ، فَقَالَ عَمْرُو بْنُ سَلَمَةَ: رَأَيْنَا عَامَّةَ أُولَئِكَ الحِلَقِ يُطَاعِنُونَا يَوْمَ النَّهْرَوَانِ مَعَ الخَوَارِجِ. اهـ.

قال الألباني رحمه الله تعالى -معلقًا على كلام ابن مسعود رضي الله عنه-: فإن فيها عبرة لأصحاب الطرق وحلقات الذكر على خلاف السُّنَّة، فإن هؤلاء إذا أنكر عليهم منكر ما هم فيه اتهموه بإنكار الذكر عن أصله! وهذا كفر لا يقع فيه مسلم في الدنيا، وإنما المنكر ما أُلصق به من الهيئات والتجمعات التي لم تكن مشروعة على عهد النبي ﷺ وإلا فما الذي أنكره ابن مسعود رضي الله عنه على أصحاب تلك الحلقات؟ ليس هو إلا هذا التجمع في يوم معين، والذكر بعدد لم يرد، وإنما يحصره الشيخ صاحب الحلقة، ويأمرهم به من عند نفسه، وكأنه مشرع عن الله تعالى! ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾[الشورى: ٢١]، زد على ذلك أن السنة الثابتة عنه ﷺ فعلا وقولا إنما هي التسبيح بالأنامل. اهـ [١].

---

(١) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها للألباني (١٣/٥).

ولذلك ينبغي إحياء مثل هذه المجالس التي يباهي الله بها ملائكته، فهي ليست بدعة، وإنما البدعة ما أُحدث فيها وليس من أصلها، فليتنبه لذلك.

فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إِذَا مَرَرْتُمْ بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا»، قَالُوا: وَمَا رِيَاضُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «حِلَقُ الذِّكْرِ»[١].

۞ (العمل السابع) زيارة المريض

فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ رَجُلٍ يَعُودُ مَرِيضًا مُمْسِيًا، إِلاَّ خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ أَتَاهُ مُصْبِحًا خَرَجَ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ حَتَّى يُمْسِيَ»[٢]، ومتى ما نزلت الملائكة عليهم السلام فتحت أبواب السماء لنزولهم.

وقد رغبت السنة النبوية في زيارة المرضى حيث روى أبو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عُودُوا المَرِيضَ وَاتَّبِعُوا الجَنَازَةَ تُذَكِّرُكُمُ الآخِرَةَ»[٣]، أي أن كلاهما يذكرنا الرحيل إلى الآخرة.

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٤/ ٢٠٤)، والترمذي واللفظ له (٣٥١٠)، والطبراني في الكبير (١١١٥٨)، وأبو يعلى (٣٤٣٢)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن لغيره (١٥١١).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٨/ ١٦)، وأبو داود (٣٠٩٨)، والترمذي (٩٦٩)، وابن ماجه (١٤٤٢)، والحاكم (١٢٦٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٧١٧).

(٣) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٩/ ١٦٢)، وابن حبان (٢٩٥٥)، وأبو يعلى (١١١٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٥١٨)، والطبراني (٦٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤١٠٩).

وأخبر النبي ﷺ بأن من مات في يوم قد زار فيه مريضا، كان ضامنا على الله تعالى دخول الجنة ونجاته من النار، حيث روى معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خمس من فعل واحدة منهن كان ضامنا على الله: من عاد مريضا، أو خرج غازيا، أو دخل على إمامه يريد تعزيره -أي نصرته- وتوقيره، أو قعد في بيته فسلم الناس منه وسلم من الناس»[١].

وروى ثَوْبَانُ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ -أي ثمار- الْجَنَّةِ حَتَّى يَرْجِعَ»[٢].

وروى أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أَخًا لَهُ فِي اللَّهِ نَادَاهُ مُنَادٍ أَنْ طِبْتَ وَطَابَ مَمْشَاكَ وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الْجَنَّةِ مَنْزِلًا»[٣].

ولقد حثنا نبينا ﷺ إذا عدنا المريض أن نُنفس له في الأجل وندعو له بالخير؛ لأن الملائكة تُؤمّن على هذا الدعاء، فقد روت أُمُّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِذَا حَضَرْتُمُ الْمَرِيضَ أَوِ الْمَيِّتَ، فَقُولُوا خَيْرًا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَى مَا تَقُولُونَ»[٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٩/١٩٥)، والطبراني واللفظ له (٥٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٢٥٣).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٩/١٦٠)، ومسلم واللفظ له (٢٥٦٨)، والترمذي (٩٦٧)، وابن ماجه (١٤٤٢)، والبيهقي في سننه (٦٣٧١)، والطبراني (١٤٤٦)، وابن حبان (٢٩٥٧)، والبخاري في الأدب المفرد (٥٢١).

(٣) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٩/١٥٩)، والترمذي واللفظ له (٢٠٠٨)، وابن ماجه (١٤٤٣)، وابن حبان (٢٩٦١)، والبخاري في الأدب المفرد (٣٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٧٨).

(٤) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٩/١٦٣)، ومسلم واللفظ له (٩١٩)، والترمذي (٩٧٧)، والنسائي (١٨٢٥)، وابن ماجة (١٤٤٧)، والحاكم (٦٧٥٨)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦٩١٦).

ومتى ما أمَّن الملائكة عليهم السلام على الدعاء، فحري أن يجيبه الرب ﷻ.
قال النووي رحمه الله تعالى في قوله ﷺ: «إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَسَلُوا اللهَ مِنْ فَضْله، فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا» : قَالَ القَاضِي: سَبَبه رَجَاء تَأْمِين المَلائِكَة عَلَى الدُّعَاء. اهـ[١].

⇦ ومن الأدعية المرغوب قولها للمريض:

(أ) ما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «إذا عاد أحدكم مريضا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ، يَنْكَأُ لَكَ عَدُوًّا، وَيَمْشِي لَكَ إِلَى الصَّلاةِ»[٢].

(ب) وما رواه عَلِيٌّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا عَادَ مَرِيضًا قَالَ: «اللَّهُمَّ أَذْهِبِ البَأْسَ رَبَّ النَّاسِ، وَاشْفِ فَأَنْتَ الشَّافِي، لا شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا»[٣].

(ج) وما رواه ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مِرَارٍ: أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ أَنْ يَشْفِيَكَ إِلاَّ عَافَاهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ المَرَضِ»[٤].

فحري بنا العناية بهذا الخلق الاجتماعي الذي يقوي أواصر المحبة بين الناس، ويبين أهمية الصلاة في حياة المسلم وعظم قدرها عند الله ﷻ.

---

(١) شرح صحيح مسلم للنووي (١٧/ ٥٠ ح ٢٧٢٩).
(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٩/ ١٦٢)، وأبو داود (٣١٠٧)، وابن حبان (٢٩٧٤) والحاكم (١٢٧٣)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦٨١).
(٣) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٧/ ١٨٢)، والترمذي واللفظ له (٣٥٦٥)، وأبو داود (٣٨٨٣)، وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٢٨٢٣).
(٤) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٩/ ١٦٢)، وأبو داود واللفظ له (٣١٠٦)، والترمذي (٢٠٨٣)، والحاكم (١٢٦٨)، والنسائي في السنن الكبرى (١٠٨٨٤)، والطبراني (١٢٢٧٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٨٨).

المبحث الثالث
أرواح تفتح لها أبواب السماء

إن من تكريم الله تعالى لروح المؤمن؛ أنه إذا قُبض تفتح له أبواب السماء، ويشيعه من كل سماء مقربوها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «هَذَا الَّذِي تَحَرَّكَ لَهُ العَرْشُ، وَفُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَشَهِدَهُ سَبْعُونَ أَلْفًا مِنَ المَلائِكَةِ، لَقَدْ ضُمَّ ضَمَّةً ثُمَّ فُرِّجَ عَنْهُ»[1]، ويقصد به سعد بن معاذ رضي الله عنه، كما جاء في رواية أخرى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك، ما وطئوا الأرض قبلها»، وقال حين دفن: «سبحان الله! لو انفلت أحد من ضغطة القبر؛ لانفلت منها سعد، ولقد ضم ضمة، ثم أفرج عنه»[2].

فلنقرأ بتدبر هذا الحديث المؤثر الذي يصف حالة المؤمن عند النزع الأخير، وكيف تفتح له أبواب السماء، وإلى أين تصير روحه.

روى البراء بن عازب رضي الله عنه قائلا: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى القَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فجلس رسول الله ﷺ وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير، وفي يده عُودٌ يَنْكُتُ به في الأرض، فرفع رأسه فقال: «اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ المُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ، بِيضُ الوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ

---

(١) رواه النسائي واللفظ له (٢٠٥٥)، وابن حبان (٧٠٣٣)، والحاكم (٤٩٢٣)، والطبراني (٥٣٤٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٩٨٧).

(٢) رواه البزار، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد (٩/٣٠٨)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣٤٥).

الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ عليه السلام، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ، قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ القَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا، لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الكَفَنِ وَفِي ذَلِكَ الحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، قَالَ: فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلا يَمُرُّونَ -يَعْنِي: بِهَا- عَلَى مَلَإٍ مِنَ المَلائِكَةِ إِلاَّ قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلانُ بْنُ فُلانٍ بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ عز وجل: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، قَالَ: فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الإِسْلامُ، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَقُولانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ؛ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الجَنَّةِ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ، قَالَ: وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ يَجِيءُ بِالخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي.... الحديث»[1].

---

(١) رواه الإمام أحمد واللفظ له عن البراء بن عازب رضي الله عنه -الفتح الرباني- (٧/٧٤)، وأبو داود (٤٧٥٣)، والحاكم (١٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٧٦).

وفي رواية نحوه وزاد فيه: «إذا خَرَجَ رُوحُهُ صلى عليه كُلُّ مَلَكٍ بين السَّماءِ وَالأَرْضِ، وَكُلُّ مَلَكٍ في السَّماءِ، وَفُتِحَتْ له أَبْوَابُ السَّماءِ، ليس من أَهْلِ بَابٍ إِلاَّ وَهُمْ يَدْعُونَ اللهَ أَنْ يُعْرَجَ بِرُوحِهِ من قِبَلِهِمْ، فإذا عُرِجَ بِرُوحِهِ قالوا: رَبِّ عَبْدُكَ فُلاَنٌ، فيقول: أَرْجِعُوهُ، فَإِنِّي عَهِدْتُ إِلَيْهِمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى، قَالَ: فَإِنَّهُ يَسْمَعُ خَفْقَ نِعَالِ أَصْحَابِهِ إِذَا وَلَّوْا عَنْهُ، فَيَأْتِيهِ آتٍ فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الإِسْلامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَيَنْتَهِرُهُ، فَيَقُولُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللهُ ﷻ: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، وَدِينِيَ الإِسْلامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَيَقُولُ: لَهُ صَدَقْتَ، ثُمَّ يَأْتِيهِ آتٍ حَسَنُ الوَجْهِ.... الحديث»[1].

فهل ترغب أن تكون صاحب هذه الروح الزكية؛ تفتح لك أبواب السماء، وتستقبلك ملائكة الله وتثني عليك خيرا؟

فإذا رغبت ذلك بصدق فالزم غرز رسول الله ﷺ ولا تَحِدْ عنه، واسأل مولاك الرحيم أن يثبت قلبك على طاعته، فالثبات على الدين يحتاج إلى سؤال ومجاهدة، وكثيرا ما كان النبي ﷺ يكثر من دعائه بالثبات على الدين، حيث روى شَهْرُ بْنُ حَوْشَبٍ رحمه الله تعالى قَالَ: قُلْتُ لأُمِّ سَلَمَةَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ ﷺ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَكْثَرَ دُعَاءَكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني-(٧٤/٧)، وصححه أحمد شاكر في عمدة التفسير (٢٢/٢)، والألباني في أحكام الجنائز (صفحة ١٥٩)، وضعف إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (٥٧٨/٣٠).

دِينِكَ؟ قَالَ: «يَا أُمَّ سَلَمَةَ، إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ»[١].

وهذا أهم عمل ينبغي أن نسعى إليه؛ ونجاهد أنفسنا عليه، كي تُفتح أبواب السماء لأرواحنا بعد مماتنا بإذن الله تعالى.

* * *

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني-(١٤/٢٨٨)، والترمذي واللفظ له (٣٥٢٢)، وابن ماجه (٣٨٣٤)، والحاكم (٣١٤٠)، وابن حبان (٩٠٢)، والنسائي في السنن الكبرى (٧٧٣٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٨٠١).

الفصل الرابع

من لا تفتح لهم أبواب السماء

تمهيد

إن كل عمل طيب تفتح له أبواب السماء ويصعد إلى الله ﷻ فقد روى أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ؛ وَلا يَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ إِلاَّ الطَّيِّبُ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»[1].

لقد تعوذ النبي ﷺ من عمل يُرَدُّ، أو دعاء لا يستجاب ولا يُصعد به إلى السماء حيث روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «اللّهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وعمل لا يرفع، ودعاء لا يسمع»[2].

وروى زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ رضي الله عنه قَالَ: لا أَقُولُ لَكُمْ إِلاَّ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ، كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَالْهَرَمِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٩/٤٤)، والبخاري واللفظ له (٧٤٢٩)، ومسلم (١٠١٤)، والترمذي (٦٦١)، والنسائي (٢٥٢٥)، وابن ماجه (١٨٤٢)، والدارمي (١٦٧٥).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٤/٣٠١)، والترمذي (٣٤٨٢)، وأبو داود (١٥٤٨)، والنسائي (٥٥٣٧)، وابن ماجه (٢٥٠)، والحاكم (٣٥٦)، والطبراني (٢٢٧٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٩٥).

يُسْتَجَابُ لَهَا»[١].

فالمرء يخشى أن تغلق دونه أبواب السماء ويرد دعاؤه، قال سلمة بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى: لأنا من أن أُمنع الدعاء أخوف مني من أن أُمنع الإجابة[٢].

ويحتمل أن من لا تفتح لهم أبواب السماء تشمل عدة فئات وحالات؛ أذكرها في أربعة مباحث:

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٤/٣٠٢)، ومسلم واللفظ له (٢٧٢٢)، والنسائي (٥٤٥٨)، والطبراني (٥٠٨٥).

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم (٣/٢٤١).

المبحث الأول
أعمالٌ لا ترفع إلى السماء

هناك بعض الأعمال التي نص عليها النبي ﷺ بأنها لا تُرفع ابتداء، ولا يُصعد بها إلى السماء، فمن باب أولى أنها لا تفتح لها أبواب السماء، وقد تعوذ النبي ﷺ من مثل هذه الأعمال كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه السابق، فيجدر بنا تجنبها والتي منها:

(١) صلاة مَنْ أمَّ قوما وهم له كارهون

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«ثلاثة لا يقبل منهم صلاة، ولا تصعد إلى السماء، ولا تجاوز رؤوسهم: رَجُلٌ أَمَّ قَوْمًا وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ... الحديث»**[1].

وروى جُنادة بن أبي أمية الأزدي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«من أمَّ قوما وهم له كارهون، فإن صلاته لا تجاوز ترقوته»**[2].

ذكر المناوي رحمه الله تعالى أن المقصود بالكراهية هنا لأمر يذم فيه شرعًا كوال ظالم، ومن تغلب على إمامة الصلاة ولا يستحقها، أو لا يتحرز عن النجاسة، أو يمحق هيئات الصلاة، أو يتعاطى معيشة مذمومة، أو يعاشر الفساق ونحوهم وشبه ذلك سواء نصبه الإمام أم لا. اهـ[3].

---

(١) رواه ابن خزيمة (١٥١٨)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره (٤٨٥).

(٢) رواه الطبراني (٢١٧٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٦١٠٢).

(٣) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٣/١٣٩ ح ٢٩٤٨).

(٢) صلاة من صلى على جنازة ولم يؤمر

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يقبل منهم صلاة، ولا تصعد إلى السماء، ولا تجاوز رؤوسهم: رجل أم قوما وهم له كارهون، ورجل صلى على جنازة ولم يؤمر... الحديث»[١].

فإن أولى الناس بالصلاة على الميت أقاربه ومن أوصى بالصلاة عليه بعد موته، وذلك عند غياب الوالي أو نائبه، على خلاف بين أهل العلم في ذلك؛ لذلك لا ينبغي لأحد التسرع في إمامة أي جنازة حتى يأذن أولياء الميت.

(٣) صلاة من دعاها زوجها من الليل فأبت عليه

فعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ثَلاثَةٌ لا تُجَاوِزُ صَلاتُهُمْ آذَانَهُمْ: العَبْدُ الآبِقُ حَتَّى يَرْجِعَ، وَامْرَأَةٌ بَاتَتْ وَزَوْجُهَا عَلَيْهَا سَاخِطٌ، وَإِمَامُ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ»[٢].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «اثنان لا تجاوز صلاتهما رءوسهما: عبد آبق من مواليه حتى يرجع، وامرأة عصت زوجها حتى ترجع»[٣].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يقبل منهم صلاة، ولا تصعد إلى السماء، ولا تجاوز رؤوسهم: رجل أم قوما وهم له كارهون، ورجل صلى على جنازة ولم يؤمر، وامرأة دعاها زوجها من الليل فأبت عليه»[٤].

---

(١) سبق تخريجه (ص١١١).

(٢) رواه الترمذي (٣٦٠)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٥٧).

(٣) رواه الحاكم (٧٣٣٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣٦).

(٤) سبق تخريجه (ص١١١).

ينبغي للزوجة مراعاة شعور زوجها والوقوف على خدمته وإرضاؤه قدر استطاعتها، فطاعته وسيلة سهلة لإرضاء ربها ﷻ ودخولها الجنة بإذن الله تعالى من أي أبوابها شاءت، لِما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِذَا صَلَّتِ المَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا، دَخَلَتْ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الجَنَّةِ شَاءَتْ»[1].

ولتحذر أن تبيت وزوجها غضبان عليها لامتناعها عنه؛ خشية أن تصيبها لعنة الملائكة عليهم السلام، حيث روى أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَى فِرَاشِهِ فَأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا المَلائِكَةُ حَتَّى تُصْبِحَ»[2].

ولا ينبغي لصاحب المروءة أن يكون ديدنُه في الرضا لعن الملائكة زوجته، وإنما عليه المسارعة بالرضا عنها من داخل قلبه، وإن لم يُظهر لها ذلك، فهي لا تزال أم عياله وقطعة من فؤاده، يتمنى صلاحها، ولا يكون سبب لعن الملائكة لها.

(٤) دعاء من لم يختمه بالصلاة على النبي ﷺ

بين النبي ﷺ أن الدعاء موقوف لا يصعد منه شيء حتى نصلي على النبي ﷺ لما جاء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه موقوفا أنه قال: «إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، لا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ ﷺ»[3].

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٦/٢٢٨)، وابن حبان واللفظ له (٤١٦٣)، والطبراني في الأوسط (٤٥٩٨)، والبزار، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٦٠).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٦/٢٢٦)، والبخاري واللفظ له (٣٢٣٧)، ومسلم (١٧٣٦)، وأبو داود (٢١٤١)، والدارمي (٢٢٢٨)، وابن حبان (٤١٧٢)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٩٧٠).

(٣) رواه الترمذي (٤٨٦)، والنسائي (١٢٨٤)، وابن خزيمة (٧٠٩)، والطبراني (٧٩٢)، وابن حبان (١٩٦٠)، والحاكم (٩٨٩)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: صحيح لغيره (١٦٧٦).

وذكر بعض أهل العلم أن هذا ليس على إطلاقه؛ لأن جُلّ أدعية النبي ﷺ لم يختمها ﷺ بالصلاة عليه[١].

ومع هذا فإنه يستحب عدم هجر الصلاة على النبي ﷺ في دعائنا لمكانة النبي ﷺ عند الله تعالى، ولترغيبه ﷺ بذلك في عدة أحاديث، حيث روى فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَاعِدٌ، إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجِلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي، إِذَا صَلَّيْتَ فَقَعَدْتَ فَاحْمَدِ اللَّهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَصَلِّ عَلَيَّ ثُمَّ ادْعُهُ»، قَالَ: ثُمَّ صَلَّى رَجُلٌ آخَرُ بَعْدَ ذَلِكَ فَحَمِدَ اللَّهَ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَيُّهَا الْمُصَلِّي ادْعُ تُجَبْ»[٢].

قال النووي رحمه الله تعالى: أجمع العلماء على استحباب ابتداء الدعاء بالحمد لله تعالى والثناء عليه، ثم الصلاة على رسول الله ﷺ، وكذلك يختم الدعاء بهما، والآثار في هذا الباب كثيرة معروفة. اهـ[٣].

* * *

---

(١) الدعاء لعبد الله الخضري، الدار السلفية (صفحة ٢٢).

(٢) رواه الترمذي (٣٤٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٩٨٨).

(٣) الأذكار النووية للإمام النووي (صفحة ٢٠٩).

المبحث الثاني

أقوال وأعمال لا تفتح لها أبواب السماء

إن أبواب السماء لا تسمح بمرور المعاصي والآثام، وإنما تغلق دونها ثم ترد على صاحبها، قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، وقد وردت عدة أحاديث تدل على أن هناك أقوالا وأعمالا لا تفتح لها أبواب السماء ينبغي تجنبها، ومنها:

(١) اللعن

فعن أبي الدرداء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا؛ صَعِدَتْ اللَّعْنَةُ إِلَى السَّمَاءِ، فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَى الأَرْضِ فَتُغْلَقُ أَبْوَابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأْخُذُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا رَجَعَتْ إِلَى الَّذِي لُعِنَ، فَإِنْ كَانَ لِذَلِكَ أَهْلًا وَإِلَّا رَجَعَتْ إِلَى قَائِلِهَا»[١].

قال المناوي: «فَتُغْلَقُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ دُونَهَا» لأنها لا تفتح إلا لعمل صالح ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]. اهـ[٢].

وروى ابْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: إِنَّ رَجُلًا نَازَعَتْهُ الرِّيحُ رِدَاءَهُ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَعَنَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لا تَلْعَنْهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَإِنَّهُ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ»[٣].

---

(١) رواه أبو داود (٤٩٠٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٦٧٢).

(٢) فيض القدير شرح الجامع الصغير للمناوي (٢/ ٣٧٠).

(٣) رواه أبو داود (٤٩٠٨)، والترمذي (١٩٧٨)، وابن حبان (٥٧٤٥)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٢٨).

فاحذر كل الحذر من لعن أي إنسان أو حيوان أو حتى جماد، فإن المؤمن ليس بالطعَّان ولا اللعَّان ولا الفاحش ولا البذيء.

والخطورة في اللعن تكمن في ثلاثة أمور مهمة:

أولا: أنه قد يرتد على قائله، كما في حديث أبي الدرداء وابن عباس السابقين.

ثانيا: لا يكون اللعَّانون شهداء للأنبياء عليهم الصلاة والسلام يوم القيامة حينما يسألهم الرب جل وعلا عن تبليغ الرسالة لأقوامهم، فقد روى أبو الدرداء ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لا يَكُونُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ شُهَدَاءَ وَلا شُفَعَاءَ»[1]، وفي رواية الإمام مسلم أنَّ النبي ﷺ قال: «لا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفَعَاءَ وَلا شُهَدَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ».

ولا شك أن الشهادة للأنبياء بأنهم بلغوا الرسالة وأدوا الأمانة شرف عظيم وكرامة لأمة محمد ﷺ، ولكن سيخسرها اللعانون، فقد روى أبو سعيد الخدري ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] وَالوَسَطُ العَدْلُ»[2].

---

(١) رواه الإمام أحمد واللفظ له -الفتح الرباني- (٣١٧/١٩)، ومسلم (٢٥٩٨)، وأبو داود (٤٩٠٧)، والحاكم (١٤٩)، والبخاري في الأدب المفرد (٣١٦)، وابن حبان (٥٧٤٦).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٣٨/٢٠)، والبخاري واللفظ له (٤٤٨٧)، والترمذي (٢٩٦١)، وابن ماجه (٤٢٨٤).

ثالثا: يحرمون الشفاعة لغيرهم يوم القيامة حين يشفع المؤمنون في إخوانهم الذين دخلوا النار، وهذه من أعظم الخسارة والحسرة التي سيندم عليها المؤمن حينما يرغب في الشفاعة لمن يعرف من إخوانه ممن سقط في النار فلا يؤذن له، في حين يرى غيره يشفع لمن يعرف.

فقد روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشَدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا، وَيُصَلُّونَ، وَيَحُجُّونَ، -وفي رواية عند الإمام أحمد: ويغزون غزونا- فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ، فَتُحَرَّمُ صُوَرُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا....»[1].

ألا يستحق كل ذلك أن نترك اللعن ونُطهر ألسنتنا منه؟

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢٠٨/٢٤)، والبخاري (٧٤٣٩)، ومسلم واللفظ له (١٨٣)، والنسائي (٥٠١٠)، وابن ماجه (٦٠).

(٢) دعاء الذي تولى منصبا ثم احتجب عن قضاء حوائج الناس

فعن عمرو بن مرة ﵁ أن النبي ﷺ قال: «مَا مِنْ إِمَامٍ أَوْ وَالٍ يُغْلِقُ بَابَهُ دُونَ ذَوِي الحَاجَةِ وَالخَلَّةِ وَالمَسْكَنَةِ، إِلاَّ أَغْلَقَ اللَّهُ ﷻ أَبْوَابَ السَّمَاءِ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَمَسْكَنَتِهِ»[١]، أي حُجب دعاؤه عن الصعود.

فمن ترفع من المدراء والمسئولين عن الاستماع لشكاوى المراجعين واحتجب عنهم إما بكثرة تغيبه عن العمل أو يتهرب من مقابلتهم وقضاء حوائجهم خصوصا الضعفاء منهم؛ فلن يحجب الله عنه إجابة الدعاء فحسب، فهذا الأمر قد يكون هينا نوعا ما، وإنما سيحتجب الله دون حاجته يوم القيامة أيضا، وهو الأشد والأنكى.

فعن معاذ بن جبل ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ شَيْئًا، فَاحْتَجَبَ عَنْ أُولِي الضَّعفَةِ وَالحَاجَةِ، احْتَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ يَوْمَ القِيَامَةِ»[٢].

وعندما حدَّث عمرو بن مرة ﵁ بهذا الحديث معاوية أثناء خلافته قائلا له: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ وَلاَّهُ اللَّهُ ﷻ شَيْئًا مِنْ أَمْرِ المُسْلِمِينَ، فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ، احْتَجَبَ اللَّهُ عَنْهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ» قَالَ: فَجَعَلَ رَجُلًا عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ[٣].

---

(١) رواه الإمام أحمد واللفظ له -الفتح الرباني (١٩/٢٣)، والترمذي (١٣٣٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٨٥).

(٢) رواه الإمام أحمد واللفظ له -الفتح الرباني (١٩/٢٣)، والطبراني (٣١٦)، والحاكم (٧٠٢٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٢٠٩).

(٣) رواه الترمذي (١٣٣٢)، وأبو داود واللفظ له (٢٩٤٨)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٢٥٥٥).

فليعلم كل موظف تولى أمرا من أمور المسلمين؛ أن النبي ﷺ دعا بالمشقة على من يشقُّ على الناس، كما دعا ﷺ بالرفق على من يرفق بهم. ودعاء النبي ﷺ مجاب لا يرد، حيث روت عائشة رضي الله عنها، قالت: سمعت من رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ»[١].

ذكر ابن عثيمين رحمه الله تعالى معنى الرفق ونوع المشقة التي قد يصاب بها من شقَّ على المسلمين فقال:

قد يظن بعض الناس أن معنى الرفق أن تأتي للناس على ما يشتهون ويريدون، وليس الأمر كذلك؛ بل الرفق أن تسير بالناس حسب أوامر الله ورسوله، ولكن تسلك أقرب الطرق وأرفق الطرق بالناس، ولا تشق عليهم في شيء ليس عليه أمر الله ورسوله، فإن شققت عليهم في شيء ليس عليه أمر الله ورسوله؛ فإنك تدخل في الطرف الثاني من الحديث؛ وهو الدعاء أن الله يشقق عليك والعياذ بالله، يشق عليه إما بآفات في بدنه، أو في قلبه، أو في صدره، أو في أهله، أو في غير ذلك؛ لأن الحديث مطلق «فاشقق عليه»، بأي شيء يكون، وربما لا تظهر للناس المشقة، وقد يكون في قلبه نار تلظى والناس لا يعلمون، لكن نحن نعلم أنه إذا شق على الأمة بما لم ينزل به الله سلطانًا؛ فإنه مستحق لهذه الدعوة من رسول الله ﷺ. اهـ[٢].

والله جل وعلا يحب من عباده أن يخدم بعضهم بعضا، وجعل ذلك من أحب الأعمال إليه ﷻ؛ ولذلك مُنح الساعي في حوائج الناس ثوابا يفوق ثواب من اعتكف في مسجد النبي ﷺ شهرا كاملا.

---

[١] رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٩/٨٥)، ومسلم واللفظ له (١٨٢٨)، وابن حبان (٥٥٣)، والنسائي في السنن الكبرى (٨٨٧٣).

[٢] شرح رياض الصالحين لابن عثيمين دار المنان، القاهرة (٢/٣٦١ ح ٦٥٥).

فقد روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أحب الناس إلى الله أنفعهم، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور تدخله على مسلم، أو تكشف عنه كربة، أو تقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعا، ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في المسجد شهرا، ومن كف غضبه ستر الله عورته، ومن كظم غيظا ولو شاء أن يمضيه أمضاه؛ ملأ الله قلبه رضى يوم القيامة، ومن مشى مع أخيه المسلم في حاجته حتى يثبتها له؛ أثبت الله تعالى قدمه يوم تزل الأقدام، وإن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل»[1].

وليعلم أنه يجوز لكل مسئول اتخاذ الحاجب أو ما يعرف بمدير مكتب لتنظيم وجدولة مقابلة الجمهور، فقد اتخذ النبي ﷺ حُجَّابا منهم أنس رضي الله عنه ليحجبوه عن الناس في بعض الأوقات للحاجة، أما أن يجعل ذلك مستمرا كل الوقت فهو المنهي عنه، فلا تجعل منصبك سببا لغلق أبواب السماء عنك.

(٣) عمل قاطع الرحم

سبق أن ذكرنا بأن أبواب السماء تفتح كل اثنين وخميس، وتعرض فيهما الأعمال على رب العالمين، حيث روى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تُفْتَحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ كُلَّ يَوْمِ اثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، فَيُغْفَرُ ذَلِكَ الْيَوْمَ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا، إِلاَّ امْرَءًا كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا»[2]، فكيف إذا وقعت هذه الشحناء بين أرحام؟

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (٣١٨٧)، وابن أبي الدنيا، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٧٦).

(٢) سبق تخريجه (ص٢٥).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ أَعْمَالَ بَنِي آدَمَ تُعْرَضُ كُلَّ خَمِيسٍ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، فَلا يُقْبَلُ عَمَلُ قَاطِعِ رَحِمٍ»[1].

قال البنا رحمه الله تعالى: ومعنى العرض هنا الظهور وذلك أن الملائكة تقرأ الصحف في هذا الوقت، وفيه إشارة إلى أن الشخص ينبغي له تفقد نفسه في تلك العشية ليلقى ليلة الجمعة على وجه حسن، وفيه زجر شديد لقاطع الرحم. اهـ[2].

وعدم قبول عمله يدل على احتمال غلق أبواب السماء دون عمله، ويشهد لذلك ما رواه الأعمش رحمه الله تعالى قال: كان ابن مسعود رضي الله عنه جالسا بعد الصبح في حلقة فقال: أنشد الله قاطع رحم لما قام عنا، فإنا نريد أن ندعو ربنا، وإن أبواب السماء مرتجة مغلقة دون قاطع رحم[3].

فكيف يرجو خيرا من لا تُفتح له أبواب السماء؟ وإذا أغلقت أبواب السماء عنك فأي باب ستقرع؟ فبادر إلى صلة رحمك.

لقد أوصى الله عز وجل بصلة الرحم في العديد من الآيات حيث قال تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

ولصلة الرحم ثواب عظيم ومكانة عند الله عز وجل، فمن عظم حقها عند الله عز وجل أنه وعد بوصل من وصلها وقطع من قطعها.

---

(١) رواه الإمام أحمد واللفظ له -الفتح الرباني- (٣٠٢/٢٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٥٣٨).

(٢) الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد الشيباني (٢١٨/١٩).

(٣) صححه الهيتمي المكي في كتاب الزواجر (٧٧/٢)، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب والترهيب (١٥٠٢).

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خَلَقَ اللَّهُ الخَلْقَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهُ، قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَ: مَهْ، قَالَتْ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، فَقَالَ: أَلا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَذَلِكِ لَكِ»، ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢][1].

فمن أراد ثراء في المال، وطولا في العمر، فعليه بصلة الرحم حيث روى أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[2].

ومن جانب آخر، فقد هدد جل وعلا أولئك القاطعين لأرحامهم، بأن لعنته ستلاحقهم حيثما كانوا، فقال تعالى: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴾ [محمد: ٢٢-٢٣].

ومن بخل عن رحمه المحتاج، عُذب في أرض المحشر، لما رواه جرير بن عبد الله رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ما من ذي رحم يأتي رحمه فيسأله فضلا أعطاه الله إياه فيبخل عليه، إلا أخرج له يوم القيامة من جهنم حية يقال لها: شجاع يتلمظ فيطوق به»[3].

ولذلك بين ﷺ أن قاطع الرحم لا يدخل الجنة -أي يحتمل أنه لا يدخلها مع أول الداخلين- فإما يؤخر أو يُعذب في النار ثم يدخل، حيث روى جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٩/٢١٨)، والبخاري واللفظ له (٧٥٠٢)، ومسلم (٢٥٥٤)، وابن حبان (٤٤١)، والحاكم (٣٠٠٥)، والبيهقي في سننه (١٢٩٩٦)، والنسائي في السنن الكبرى (١١٤٩٧).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٩/٥٠)، والبخاري واللفظ له (٥٩٨٦)، ومسلم (٢٥٥٧)، وأبو داود (١٦٩٣).

(٣) رواه الطبراني (٢٣٤٣)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن صحيح (٨٩٦).

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يقول: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ»[١].

والخطورة في أمر الرحم أيضا أنها مع الأمانة من دون سائر الأعمال، سيقفان عند أخطر كرب على المسلمين وهو الصراط، فلماذا الرحم ستقف في هذا المكان؟ وماذا تريد يا ترى؟ لعل وقوفها هناك لتحاج عن المحق، وتشهد على المبطل.

فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «...فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ فَيَقُومُ، فَيُؤْذَنُ لَهُ، وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ، يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالبَرْقِ...»[٢].

ولذلك من أراد المرور على الصراط بسلام فليصل رحمه، لما رواه عبد الله بن سلام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ»[٣].

ولعل الحكمة في ذكر دخول الجنة بسلام لمن عمل بهذه الأعمال الصالحة، هو مرور صاحبها على جسر جهنم بسلام دون أن تمسه النار أو تخدشه الكلاليب.

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه البخاري واللفظ له (٥٩٨٤)، ومسلم (٢٥٥٦)، وأبو داود (١٦٩٦)، والترمذي (١٩٠٩)، وابن حبان (٤٥٤)، والبيهقي في سننه (١٢٩٩٧)، والطبراني (١٥١٧).

(٢) رواه الإمام مسلم واللفظ له (١٩٥)، والحاكم (٨٧٤٩).

(٣) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٧/٣٣١)، والترمذي (٢٤٨٥)، وابن ماجه واللفظ له (٣٢٥١)، والدارمي (١٤٦٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٨٦٥).

المبحث الثالث
أحوال لا يستجاب دعاء أصحابها

ذكر النبي ﷺ عدة حالات لا يستجاب دعاء أصحابها، وعدم استجابة الدعاء علامة على احتمال غلق أبواب السماء أمام ذلك الدعاء؛ لذلك ينبغي الحذر منها وتجنبها والتي من أهمها:

(١) المطعم الحرام

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إِلاَّ طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ فَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾ [البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ»[١].

(٢) الملل من الدعاء حين تأخر الإجابة

إن استعجال المرء في إجابة الدعاء حتى يمل أو ييأس من الأسباب الأخرى التي لا يستجاب لأصحابها، وذلك لما رواه أبو هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «يُسْتَجَابُ لأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»[٢].

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٣/١٥)، ومسلم واللفظ له (١٠١٥)، والترمذي (٢٩٨٩)، والدارمي (٢٧١٧).

(٢) رواه الإمام مالك (٤٩٥)، وأحمد -الفتح الرباني- (٢٧٥/١٤)، والبخاري واللفظ له (٦٣٤٠)، ومسلم (٢٧٣٥)، والترمذي (٣٣٨٧)، وأبو داود (١٤٨٤)، وابن ماجه (٣٨٥٣).

واستعجال الدعاء لا يقصد به طلب استعجال الإجابة، فقد كان النبي ﷺ يطلب ذلك لما رواه جابر بن عبد الله رضي الله عنه حيث قال: أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ بَوَاكِي -أي أناس يبكون لانقطاع المطر عنهم- فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثًا مُغِيثًا مَرِيئًا مَرِيعًا نَافِعًا غَيْرَ ضَارٍّ، عَاجِلًا غَيْرَ آجِلٍ»، قال: فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ[1]، وإنما المقصود به الاستعجال المفضي إلى الملل وترك الدعاء عندما يرى تأخرًا في الإجابة.

فقد روى أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: «يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ -أي ينقطع- وَيَدَعُ الدُّعَاءَ»[2].

ومن أسباب ملل المرء من الدعاء هو ضعف يقينه بربه عز وجل بإجابة دعائه، ثم يستحسر ويترك الدعاء، فقد روى أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ»[3].

وروى أَنَسٌ رضي الله عنه قال: قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ الْمَسْأَلَةَ، وَلا يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي فَإِنَّهُ لا مُسْتَكْرِهَ لَهُ»[4].

---

(١) رواه أبو داود واللفظ له (١١٦٩)، وابن خزيمة (١٤١٦)، والحاكم (١٢٢٢)، والبيهقي في السنن الكبرى (٦٢٣٠)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١٥٠٧).

(٢) رواه الإمام مسلم واللفظ له (٢٧٣٥)، وابن حبان (٨٨١)، والبيهقي في سننه (٦٢٢٢).

(٣) رواه الإمام أحمد -المسند- (٦٦١٧)، والترمذي واللفظ له (٣٤٧٩)، والحاكم (١٨١٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٤٥).

(٤) رواه الإمام مالك (٤٩٤)، وأحمد -الفتح الرباني- (١٤/ ٢٧٤)، والبخاري واللفظ له (٦٣٣٩)، ومسلم (٢٦٧٨)، والترمذي (٣٤٩٧)، وأبو داود (١٤٨٣)، وابن ماجه (٣٨٥٤).

(٣) الدعاء بإثم أو قطيعة رحم

روى عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا عَلَى الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ إِلاَّ آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ»، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: إِذًا نُكْثِرُ، قَالَ: «اللَّهُ أَكْثَرُ»(١).

وروى أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الاسْتِعْجَالُ؟ قَالَ: «يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ أَرَ يَسْتَجِيبُ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ»(٢).

(٤) غفلة القلب ولهوه أثناء الدعاء

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ»(٣).

(٥) دعاء الزانية والعشَّار

فعن عثمان بي أبي العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «تفتح أبواب السماء نصف الليل فينادي مناد: هل من داعٍ فيستجاب له؟ هل من سائل فيعطى؟ هل من مكروب فيفرج عنه؟ فلا يبقى مسلم يدعو بدعوة إلا استجاب الله تعالى له، إلا زانية تسعى بفرجها أو عشارا»(٤).

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٤/٢٦٦)، والترمذي واللفظ له (٣٥٧٣)، والحاكم (١٨١٦)، والبخاري في الأدب المفرد (٧١٠)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب: حسن صحيح (١٦٣١).

(٢) سبق تخريجه (ص١٢٥).

(٣) سبق تخريجه (ص١٢٥).

(٤) سبق تخريجه (ص٢٣).

وهل يعقل أن زانية تدعو ربها في هذا الوقت المبارك؟ نعم، كمن تدعو أن يرزقها خبيثا مثلها لينال منها، فتنال منه المال الحرام.

(٦) الدعاء على الزوجة سيئة الخلق، ودعاء من لم يُشهد على دَيْنه، والمعطي أمواله للسفهاء

فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «ثلاثة يدعون الله عز وجل فلا يستجاب لهم: رجل كانت تحته امرأة سيئة الخُلُق فلم يطلقها، ورجل كان له على رجل مال فلم يُشهِد عليه، ورجل آتى سفيها ماله وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ﴾ [النساء: ٥]»[1].

ومعنى الحديث أن الرجل الذي يتزوج امرأة سيئة الطباع -وهو يعلم عنها ذلك- لو دعا عليها لسوء خلقها فلن يستجيب الله له؛ لأنه المعذب نفسه بمعاشرتها وهو في سعة من فراقها، ومن أراد الصبر على خُلقها فعليه الكف عن الدعاء عليها، أو يدعو لها بالصلاح وحسن الخلق.

وأما الرجل الثاني فهو من أقرض آخَرَ ولم يُشهد على ذلك، فأنكره عندما طالبه بحقه، فإذا دعا عليه فلا يستجاب له؛ لأنه المفرط ابتداء بعدم امتثال قول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وأما الرجل الثالث فهو من أعطى ماله للسفهاء المبذرين من الأزواج والأولاد ونحوهم، فأضاعه ولم يحسن التصرف فيه، فإذا دعا عليهم فلن يستجاب له؛ لمخالفته ابتداء أمر الله تعالى القائل: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء: ٥].

---

(١) رواه الحاكم (٣١٨١)، والبيهقي في سننه (٢٠٣٠٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٠٧٥).

(٧) دعاء تارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

فَعنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مُرُوا بِالمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ المُنْكَرِ قَبْلَ أَنْ تَدْعُوا فَلا يُسْتَجَابَ لَكُمْ»(١).

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلا يُسْتَجَابُ لَكُمْ»(٢).

ومعنى الحديث أن المسلمين إذا تركوا واجب إنكار المنكر، فقد ينزل الله تعالى عليهم عقابا، فإذا دعوا الله تعالى أن يرفعه عنهم فلا يستجاب لهم لتفريطهم ابتداء في عدم إنكار المنكر أول ظهوره.

*   *   *

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٠٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٨٦٨).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٩/١٧٢)، والترمذي واللفظ له (٢١٦٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٧٠٧٠).

المبحث الرابع
أرواح لا تفتح لها أبواب السماء

أبواب السماء لا تسمح بمرور أرواح الكفار منها، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف: ٤٠].

هؤلاء الكفار الذين استكبروا عن اتباع نبي الهدى محمد ﷺ، لن تفتح لهم أبواب السماء، ومن باب أولى أن لا تفتح لهم أبواب الجنان، هؤلاء الكفار هم الذين قال الله عنهم: ﴿ وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾ [البقرة: ١١١].

وروى البراء بن عازب رضي الله عنه قال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى القَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، وَكَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا ثُمَّ قَالَ: إِنَّ العَبْدَ المُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الوُجُوهِ...، قال: وَإِنَّ العَبْدَ الكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ مَلائِكَةٌ سُودُ الوُجُوهِ، مَعَهُمُ المُسُوحُ، فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ البَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ المَوْتِ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الخَبِيثَةُ اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللهِ وَغَضَبٍ، قَالَ: فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ، فَيَنْتَزِعُهَا كَمَا يُنْتَزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ المَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، حَتَّى يَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ المُسُوحِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَنْتَنِ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلأٍ مِنَ

المَلائِكَةِ إلاَّ قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الخَبِيثُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلانُ بْنُ فُلانٍ، بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَلا يُفْتَحُ لَهُ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ فِي الأَرْضِ السُّفْلَى، فَتُطْرَحُ رُوحُهُ طَرْحًا، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: ٣١]، فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فَيَقُولانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لا أَدْرِي، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لا أَدْرِي، فَيَقُولانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لا أَدْرِي، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَافْرِشُوا لَهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ، فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ فِيهِ أَضْلاعُهُ، وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الوَجْهِ، قَبِيحُ الثِّيَابِ، مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الوَجْهُ يَجِيءُ بِالشَّرِّ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الخَبِيثُ، فَيَقُولُ: رَبِّ لا تُقِمِ السَّاعَةَ»[1].

أما أرواح الفاسقين والعصاة من المسلمين؛ فلم يأت نص صريح يفيد بغلق أبواب السماء دونهم، ولكن يكفيهم زجرا وعذابا أن تخرج أرواحهم إلى بارئهم وهو ساخط عليهم، فبأي وجه سيقابلونه جلَّ في علاه؟

❊ ❊ ❊

(١) سبق تخريجه (ص١٠٦).

الفصل الخامس

الباب الذي لا يغلق في السماء

هناك باب في السماء فتحه الله تعالى ولم يغلقه حتى الآن، ولن يغلقه إلا إذا طلعت الشمس من مغربها؛ إنه باب التوبة، وقد جعل هذا الباب من أوسع الأبواب، ولم أقف على حديث يصف عرض باب من أبواب السماء غيره.

فعن صَفْوَانَ بْنِ عَسَّالٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ مِنْ قِبَلِ مَغْرِبِ الشَّمْسِ بَابًا مَفْتُوحًا عَرْضُهُ سَبْعُونَ سَنَةً فَلا يَزَالُ ذَلِكَ الْبَابُ مَفْتُوحًا لِلتَّوْبَةِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ نَحْوِهِ فَإِذَا طَلَعَتْ مِنْ نَحْوِهِ لَمْ يَنْفَعْ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا»[1].

وفي رواية عنه رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن من قِبَل المغرب لبابا مسيرة عرضه أربعون عاما أو سبعون سنة، فتحه الله عز وجل للتوبة يوم خلق السماوات والأرض، فلا يغلقه حتى تطلع الشمس منه»[2].

لو قيل لك أنه بقي من عمرك ساعة واحدة، وأنك لا تستأخر عنها طرفة عين، فما شعورك يا ترى؟

ستظهر عليك علامات الأسف والندامة ما لو كانت لك الدنيا من أوّلها إلى آخرها لخرجت منها، ولتمنيت لو تُعطى ساعة أخرى لتستعتب فيها وتتوب.

---

(١) سبق تخريجه (ص١٣).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (٢٢/٦٧)، والبيهقي في شعبه واللفظ له (٧٠٧٦)، والنسائي في السنن الكبرى (١١١٧٨)، وابن حبان (١٣٢١)، والطبراني (٧٣٥٣)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣١٣٧).

فاعلم رحمك الله تعالى أن كل ساعة تمضي من حياتك فهي بمنزلة هذه الساعة التي قيمتها الدنيا كلها.

ففرصتك الوحيدة أن تتوب إلى الله تعالى وتدخل من هذا الباب، فإن الله تعالى يقبل توبة عبده ولا يردّه أبدا؛ ولذلك جعل الله تعالى للتوبة بابا واسعا لم يغلق حتى الآن، وهذا الباب لا تحتاج إلى فتحه، فهو مفتوح ينتظر دخولك منه، ولكن لا تتأخر عنه، فقد تموت فتخسر هذه الفرصة.

فالله ﷻ أفرح بتوبة عبده من فرح رجل ضلَّت عليه راحلته التي عليها طعامه وشرابه، فجلس تحت شجرة يائسا ينتظر الموت ثم استيقظ فرآها عند رأسه، فمن شدة فرحه بنجاته قال خطأ: اللّهم أنت عبدي وأنا ربك.

فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضِ فَلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَأَيِسَ مِنْهَا، فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا؛ قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا، ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ»[١].

وتَذكَّر أن النبي ﷺ المعصوم من الزلل؛ كان يتوب إلى الله ﷻ في اليوم أكثر من سبعين مرة، فماذا ستفعل أنت؟

فقد روى أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَاللَّهِ إِنِّي لأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»[٢].

---

(١) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٩/٣٣٥)، والبخاري (٦٣٠٨)، ومسلم واللفظ له (٢٧٤٧)، وابن ماجه (٤٢٤٩).

(٢) رواه الإمام أحمد -الفتح الرباني- (١٤/١٦٨)، والبخاري واللفظ له (٦٣٠٧)، والترمذي (٣٢٥٩)، وابن ماجه (٣٨١٦).

وإن على من حرص على التوبة الصادقة أن يحذر كل الحذر من البدع في الدين وترك السُنَّة؛ لأن النبي ﷺ أخبر أن توبة المبتدع محجوبة حتى يدع بدعته، ولعل معناها أنها لن تصعد إلى السماء لتمر من باب التوبة.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إن الله حجب التوبة عن كل صاحب بدعة حتى يدع بدعته»**[1].

وفي رواية له رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **«إن الله احتجر التوبة على كل صاحب بدعة»**[2]، والحجر هو المنع.

فلنحرص على أن تكون أعمالنا كلها على منهاج النبوة، فذلك يكفي للوصول إلى مرضاة الله تعالى؛ ولذلك قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: **اقْتِصَادٌ فِي سُنَّةٍ خَيْرٌ مِنِ اجْتِهَادٍ فِي بِدْعَةٍ**[3].

❊ ❊ ❊

(١) رواه الطبراني في الأوسط (٤٢٠٢)، والبيهقي في شعبه (٧٢٣٨)، وأبو عاصم في السنة (٣٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٥٤).

(٢) رواه الضياء المقدسي في الأحاديث المختارة (٢٠٥٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٦٩٩).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١٠٤٨٤).

أبواب القبور وأبواب السماء

يحرص كثير من المتصوفة على أماكن الأضرحة وقبور الأولياء، ويدَّعون أنها أماكن مباركة ومجربة لطلب إجابة الدعاء، ومن أماكنهم الشهيرة قبر «معروف الكرخي» الملقب قبره بالترياق المجرب، وكأن الدين وبركة الأماكن تؤخذ بالتجربة وليس بالنص الشرعي.

فلماذا لا يعمل هؤلاء بالأحاديث الصحيحة المتعلقة بالأعمال والأوقات التي تفتح فيها أبواب السماء كي يطلبوا إجابة الدعاء؟ إنها وسائل مباركة أعلن عنها من لا ينطق عن الهوى ﷺ، ولماذا يذهبون إلى أهل القبور لسؤالهم؛ فيوقعون أنفسهم في الشرك؟ أو لسؤال الله ﷻ عندهم، لا سيما أن الرسول ﷺ لم يقل لنا بأن الدعاء عند المقابر أو حتى عند قبره ﷺ مستجاب أو مما تُفتح عنده أبواب السماء، وإننا لنعجب كل العجب من اعتماد هؤلاء على أحاديث مكذوبة تنقض أبجديات الإسلام ويَعرف زيفها سليم الفطرة، كقول جاهلهم: «إذا أعيتكم الأمور فاستعينوا بأهل القبور».

ولو افترضنا جدلا أن بعض تلك القبور ثبت بالتجربة استجابة الدعاء عندها، ألا يكون ذلك استدراجا لمن لجأ إليها؟ كحال وقوع بني إسرائيل في الفتنة والبلاء حينما كانت الحيتان تأتيهم بكثرة إلى الشاطئ يوم السبت ولا تأتي بقية الأيام؟ قال تعالى في شأن ذلك الامتحان: ﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴾ [الأعراف: ١٦٣].

فأخشى أن هؤلاء سقطوا في هذه الفتنة العمياء؛ التي أضرت بعامة الناس، وأوقعتهم في الشرك، وجعلتهم يستغيثون بالأموات ويقدمون لهم القرابين والنذور

لتفريج كربهم، أو ليكونوا وسطاء لهم -بحد زعمهم- عند الله تعالى، ونسوا من بيده ملكوت السموات والأرض جل في علاه، وهذا ما نراه ونسمع عنه عند قبر «البدوي» و«الحسين» و«الدسوقي» وغيرهم.

فكيف نستعين بأموات، وندع الحي الذي لا يموت، وقد أخبر النبي ﷺ بأن من لم يسأل الله تعالى يغضب عليه؟ فقد روى أبو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللَّهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»[1].

إن من رأفة النبي ﷺ بنا أن دلنا على كل ما يقربنا إلى ربنا عز وجل ومن ذلك إخباره ﷺ عن أوقات فتح أبواب السماء؛ للاستزادة من الأعمال الصالحة عموما وبالدعاء خصوصا لتأكد القبول في ذلك الوقت، كما بين لنا ﷺ بعض الأعمال الصالحة القولية والفعلية التي تفتح لها أبواب السماء، مما يميز هذه الأعمال عن غيرها في الفضل، كما حذر من أعمال لا تفتح لها أبواب السماء لنتجنبها، وأخبر عن باب لا يغلق إلا عند طلوع الشمس من مغربها وهو باب التوبة، وقد وصف النبي ﷺ عرض هذا الباب ولم يصف غيره من أبواب السماء لأهميته.

إن باب التوبة من أوسع أبواب السماء، وهو الباب الذي لن يُغلق إلا في آخر الزمان، ولكن أتعلم متى ستُمنع أنت دخول هذا الباب؟ إنه عند وفاتك.

لذلك اغتنم فرصة حياتك قبل موتك، وجدد إيمانك وأعلن توبتك من ذنوبك قبل أن تغرغر الروح، ولا تُسوِّف التوبة بحجة أن باب التوبة مفتوح لا يغلق؛ لأنك قد تفارق الحياة في أي لحظة، فتذهب نفسك عليك حسرات وأنت لم تدخل من أفضل وأوسع الأبواب التي يحبها الله تعالى.

(١) سبق تخريجه (ص٧٩).

أسأل الله العظيم، رب العرش العظيم، أن يفتح لنا أبواب رحمته، وأن يغلق عنا أبواب سخطه، وأن يوفقنا لصالح القول والعمل، ويجنبنا الزلل، وأن يحبب إلينا الإيمان ويزينه في قلوبنا، وأن يكره إلينا الكفر والفسوق والعصيان، ويجعلنا من الراشدين، كما أسأله تبارك وتعالى أن يتقبل مني هذا الكتاب ويجعله خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفعني به في يوم سيتبرأ الناس فيه من قبح أعمالهم، وإني سائل كل من انتفع بهذا الكتاب أن يدعو لي ولوالدي ولأسرتي وللمسلمين أجمعين، وليبشر من فعل ذلك بقول الملك الموكل به: آمين ولك بمثل، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه: أبو عمر

❋ ❋ ❋

فهرس الأحاديث

الحديث أو الأثر **الصفحة**

الحديث أو الأثر **الصفحة**

الحديث أو الأثر **الصفحة**

الحديث أو الأثر **الصفحة**

الحديث أو الأثر **الصفحة**

الحديث أو الأثر	الصفحة

الحديث أو الأثر **الصفحة**

الحديث أو الأثر **الصفحة**

الحديث أو الأثر	الصفحة

الحديث أو الأثر **الصفحة**

* * *

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

